

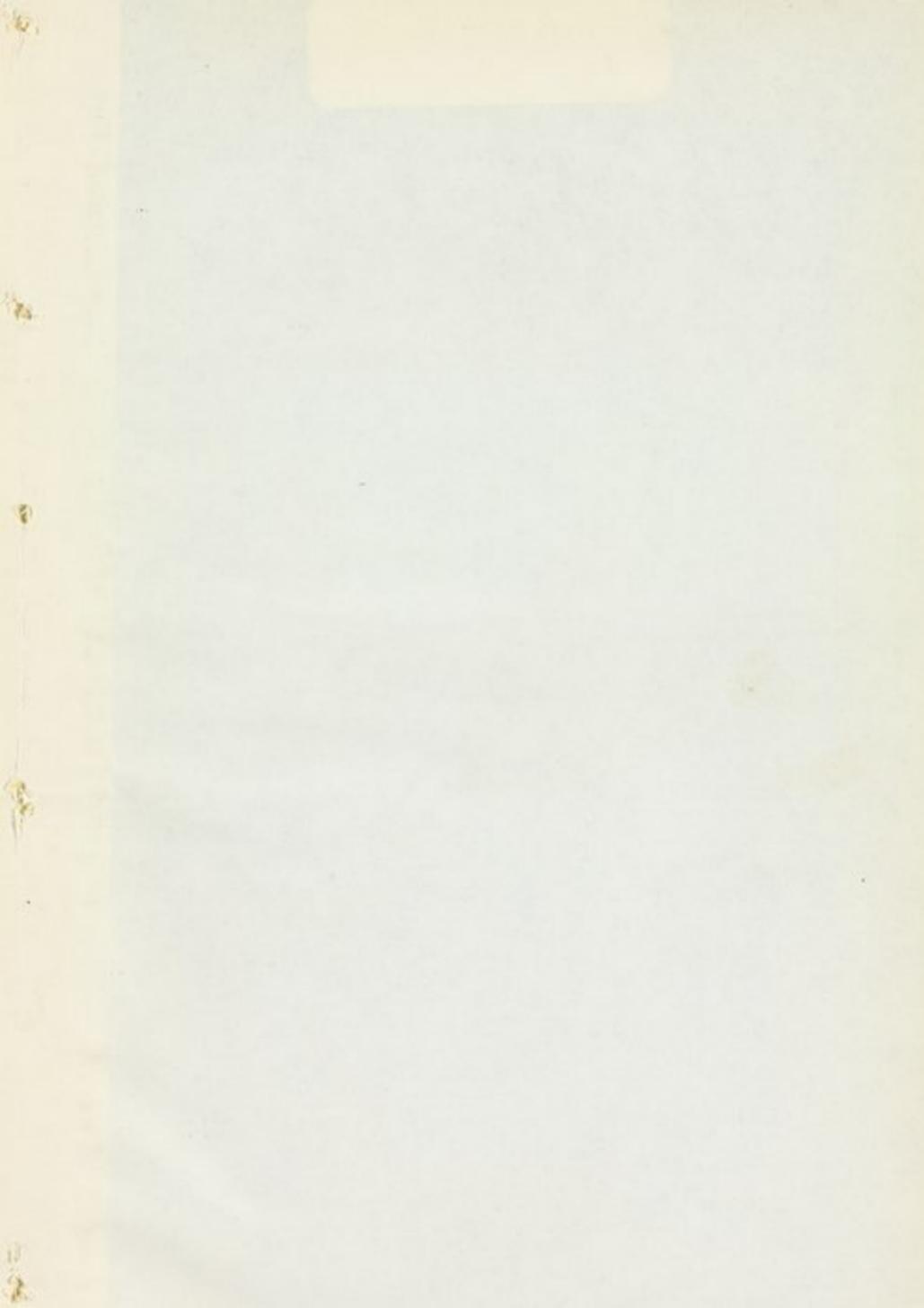
AL-YAZIJI

RASA' IL

Princeton University Library



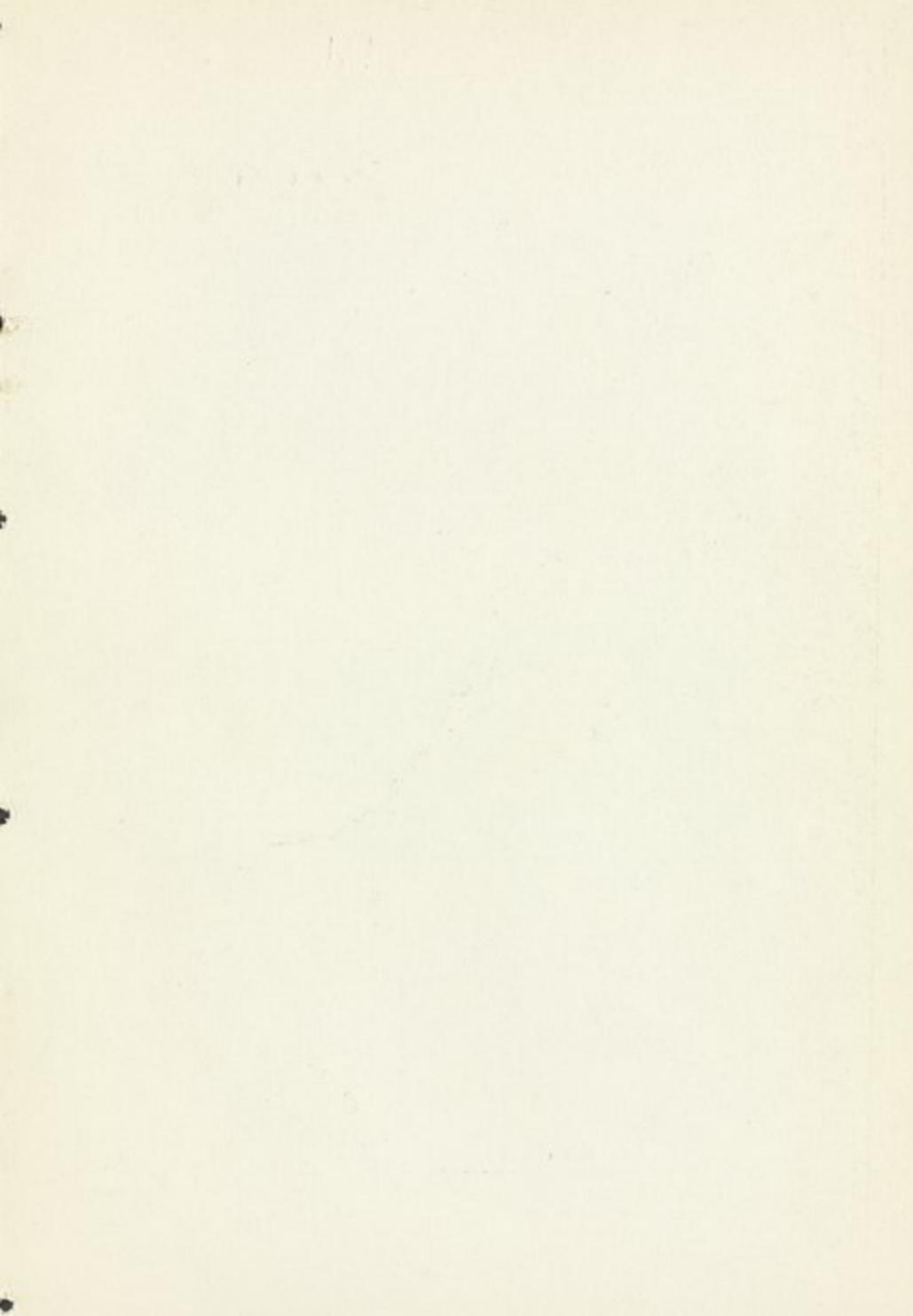
32101 071966301



رسائل
في
حضرة البؤس

فدرة اليازجي





al-Yāziji, Nadrah

نَدْرَةُ الْيَازِجِيِّ

Rasā'il

رسائل

في

حضرة البؤس

١٩٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

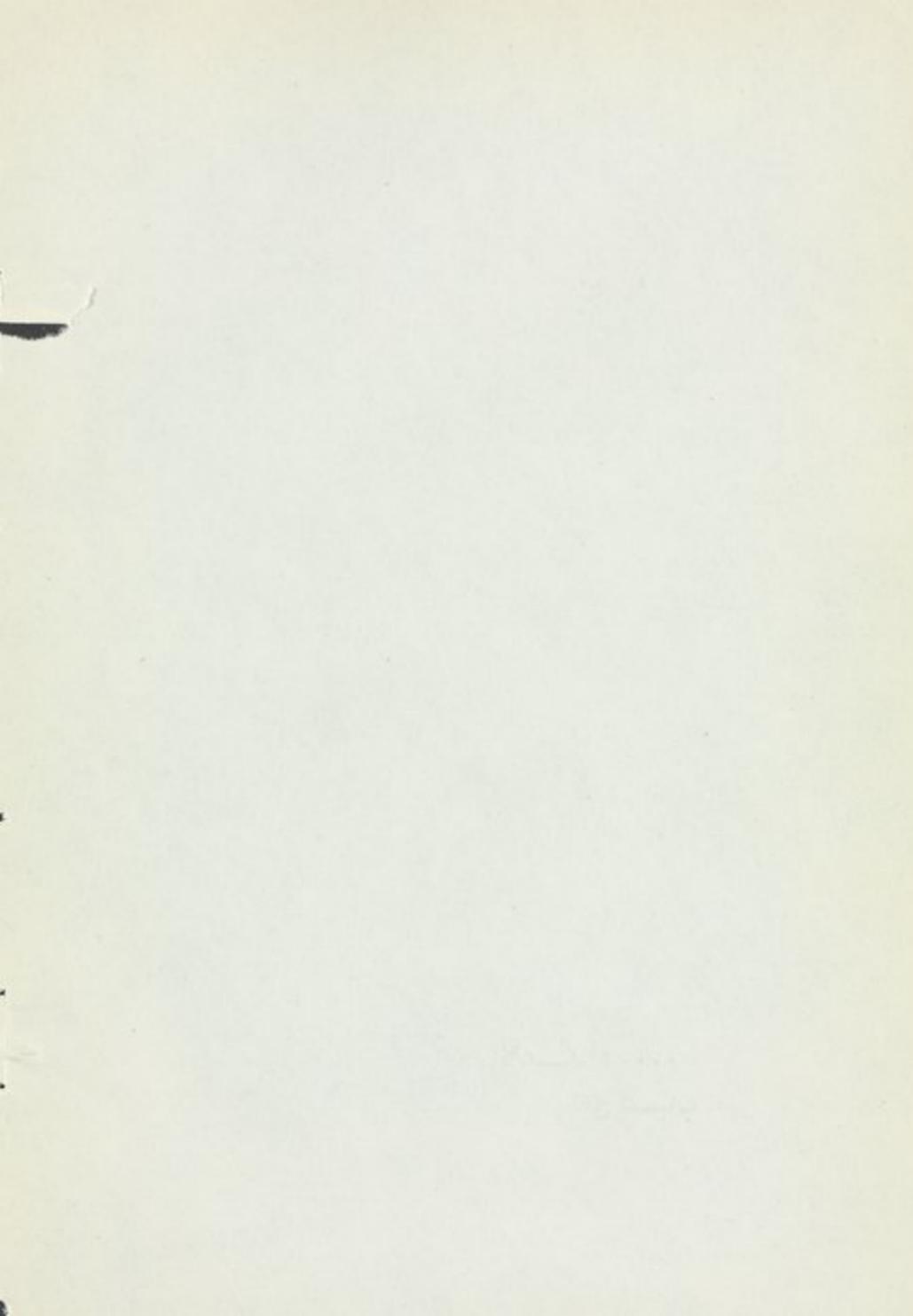
الحمد لله

الذي هدانا لهذا

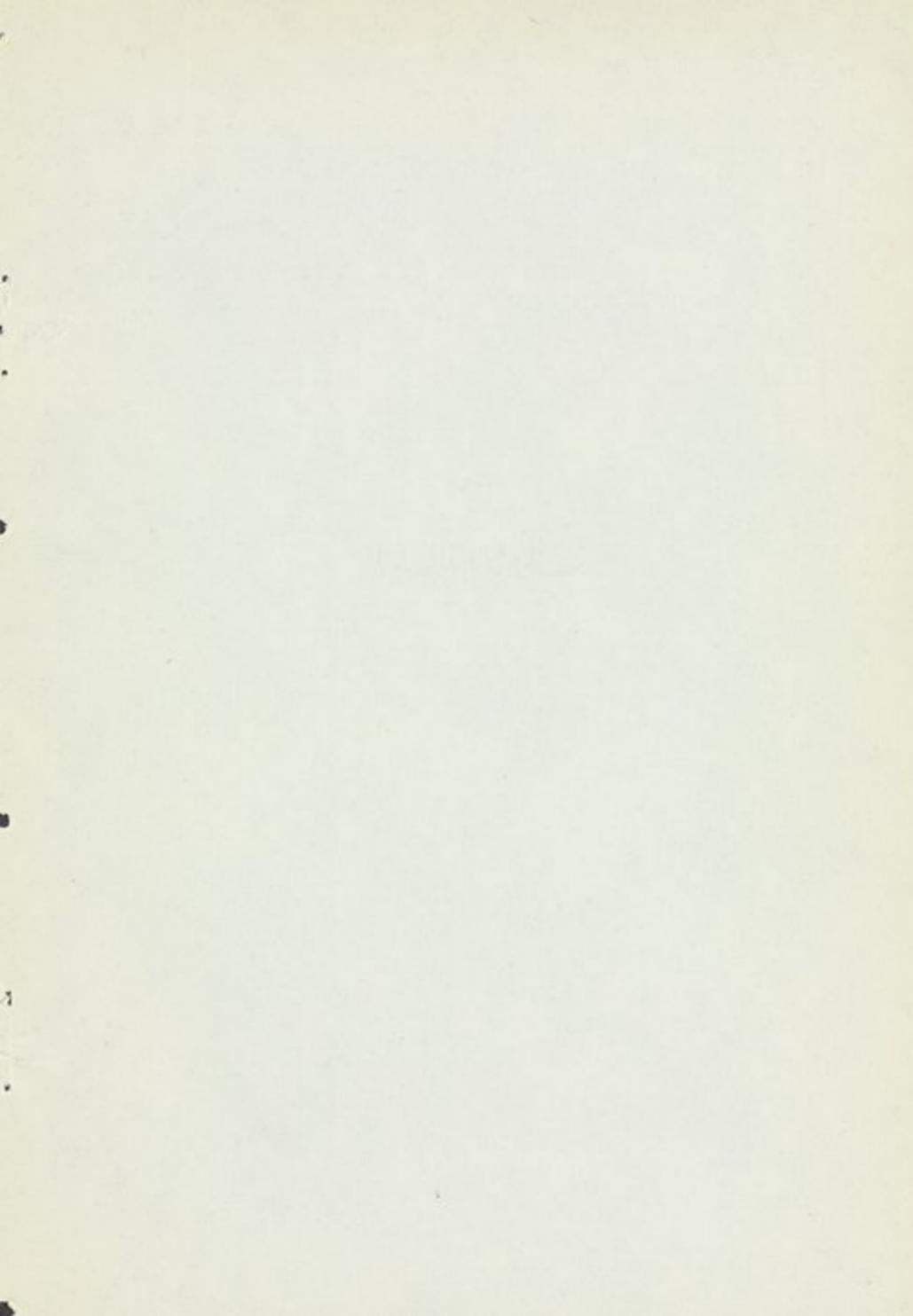
12-16-64 1975

الإهداء.....
الى شباب أمتي

2276
.9697
.374



الرسالة الأولى



••• صديقي

قد تعجب ، وقد يدفعك العجب الى التأمل والتفكير .
فكرت فيك وأنا جالس الى طاولتي هذا المساء ••• فكرت ان
أكتب اليك هذه الرسائل التي طالما عذبتني ••• وهاءنذا أحاول
اخراجها من صدري .

وأنا لا أدري حقيقة شعوري ! هلل أراني أهيم في عالم
المثل الذي لايعتمد على قاعدة مادية وواقعية ؟ لعمرى ، ان أكثر
ما يعذب قلب الانسان هو ان يعيش في غفلة عن مثالته الحققة !
وهذه الواقعية ؟ وما هي الواقعية ؟ هل هي انغماس الانسان في
كل مايراه ويجده بدون تفكير أو تصعيد أو سمو ؟

•••••

اني أحاول ، في هذه الرسائل ، ان أردد المواضيع ذاتها
التي اعتدت ان أرددها وياك ، وان أتحدث بها اليك عندما
كنت لاتزال صغيراً والآن ، وبعد أن نفث فيك الشباب عنفوانه ،
يجب ان تقف على حقيقة الحياة ، وأن تتأمل في كل مايجتاح
قلبك النابض من مشاعر :

وهنا تبدو وكأنك تفكر ••• وأنت لاتدري ان كنت حقاً
تفكر ام انك تعيش في دوامة من الصراع الداخلي الذي لاينتهي
وتكاد عندئذ أن تكفر بالقيم وأن تتجرد من كل المفاهيم ••
وتكاد ان تتراجع او ان ترتد الى نفسك ••• فما أصعب
هذا الارتداد !

وماذا يمكنك ان ترى وتجد وتحس ؟ انك تحس بلواعج

القلب وأتات الصدر ومرارة التفكير . . وكيف لا تشعر بهذا
طالما انك شاب ترى الحياة وكأنها تنقاد لك وتخضع ؟

.....

لذلك فكرت ان أكتب اليك في هذه الامسية . لقد ترددت
في أعماقي آمالك وأمانيك التي كان يزخر بها قلبك . وكان
قلبك يفيض بالسعادة وعقلك يزدهي بالمثل . . . الا زالت تلك
المثل حيث كانت ؟

.....

عندما نظرت الى حالة شبابنا وما يعانیه من قلق واضطراب
. . . عندما شعرت بالخطر الذي يحيط به بعد ان خرج الى
المجتمع . . . تصورتك . . . فتى على أهبة الاستعداد للدخول
الى معركة الحياة . . . لقد جزعت . . . وهلع قلبي خوفاً من ان
يسيطر عليك تيار هذا المجتمع الجارف . . . وخفت من ان
تصيبك المفاهيم بقسط كبير من الالم . . . فيخيب أملك . . .
وترتد وتراجع .

ومن جهتي لا أعتبر نفسي مرشداً لك . . . وكل
ماستقرأه من كتابتي هذه ليس الا تذكيراً لك . . . انها آمال
راودتني وأنا أمر في طريق الحياة ، فلاحظتها وشعرت بها . . .
ولعلي ان قلتها لك ان أحظى بقسط من نبلك وعطفك وسموك .

.....

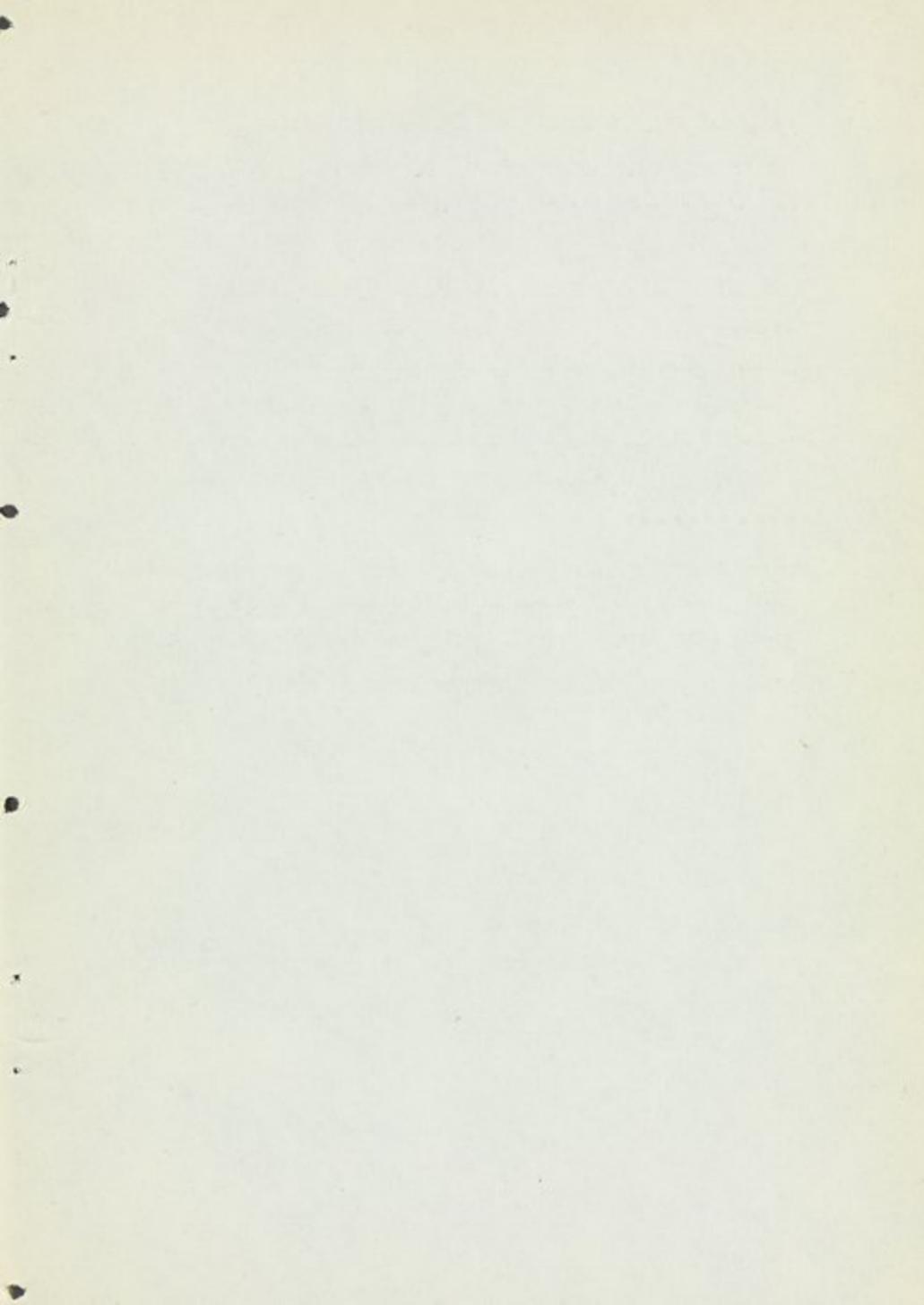
كل انسان يا صديقي تعتريه أفكار غريبة . وكل انسان
يقع في تجربة الحياة الاجتماعية . وكل انسان يتعرض لمصائب
الدهر . وكل انسان ينظر الى الحياة ويحاول فهمها . وكل
انسان يحس بأهزيج الحياة التي يحيها وبشقاء وتعاسة من
لا حياة لهم . كل انسان لابد وأن يقع في حالة شبيهة بالفوضى
ويكون عرضة للضياع .

لذلك جئتك برسائلي هذه علك تستطيع ان تقرأها بهدوء
ورصانة ٠٠٠ واستيعاب ٠٠٠ اذ يصعب على المرء ان يمر بالامور
مرور الكرام ٠٠٠ فلا مناص له ان يتفهم ويدرك الاعماق لكي
لا يرى ان الحياة سر وغموض .

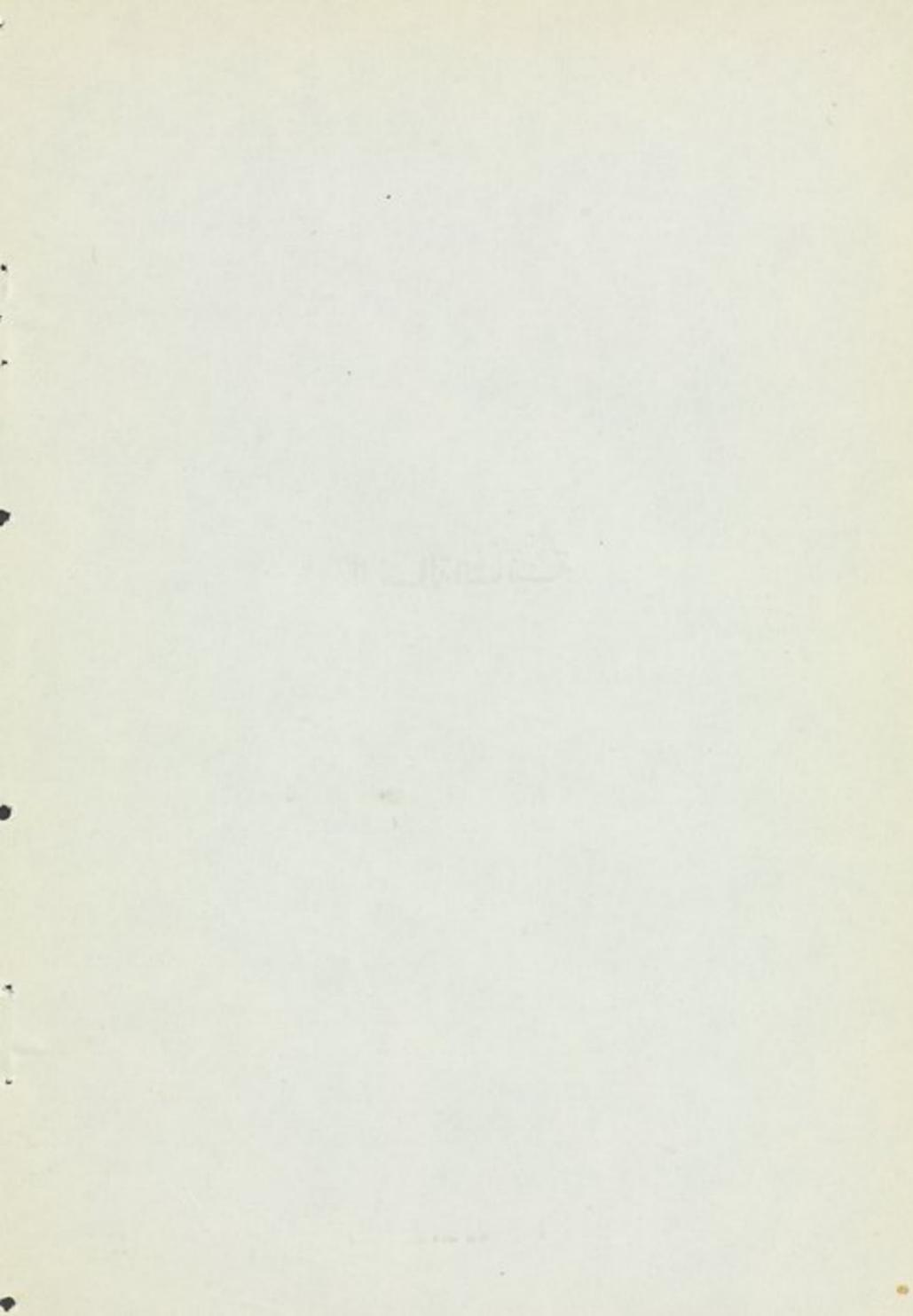
لقد حاولت ان أحدثك بأمور كثيرة ولا تخرج كلها عن
الدائرة التي رسمتها لك ٠٠ وهي الانسان ٠٠ قيمته ووجوده
٠٠٠ وخلقته لمفاهيمه الذي أدى الى شقائه ٠ لقد خلق الانسان
مفاهيمه دون ان يدري ماذا يخلق ٠٠ لقد تظاهر بالخلق وتشبه
بالاله ٠ فأوجد أصناما له ومفاهيم خرجت به عن دائرة الحقيقة
السرمدية وألقت به في حضن الآلام والتعاسة .

.....

تستطيع ان تعتبر رسائلي انها امال أخ محب وصديق
عطوف لا يريد أن يعظ بل أن يقدم محبته ٠٠٠ ولا بد لمن يتلقى
محبته صديق ان يعاملها برفق وحنو ٠٠٠ ورافتك هذه تنطوي
على قراءتك لهذه الرسائل البسيطة .



الرسالة الثانية



••• صديقي •••

ماكنت على يقين من أمري • لقد شجعتني وخلقت في ارادة جديدة وأملا جديدا • لقد بدا لي ان رسالتك حملت كل عبارات الجمال والمحبة والعطف ••• قرأت سطوراً جميلة مليئة بالخير والحق • وتصورت روحك الصافية التي أعادت الطمأنينة الي وعلمتني ان الصداقة الحقة لا تتأثر بالنسيان المؤقت • ولذلك أقف أمام رسالتك فخوراً لما لمستته من عظمة نفسك وتقبلت لافكاري • وكيف أستطيع ان أشمرك وأنت عزيز على قلبي ؟ وهل يستطيع القلب المحب ان يجهر بمحبته ؟ وهل يستطيع أن يعبر عنها بالالفاظ ؟ ان أجمل مايقوله القلب هو الصمت ، وان أعظم ما تعبر عنه النفس هو التأمل ، وان أسمى وأحلى ما تحيا به الروح هو الخلود • وهذه الصفات الثلاثة تشملها المحبة التي تتجسد بالصداقة •

•••••

لاحظت ان المحبة قد فقدت وأصبحت قلوب الناس قاسية ظالمة • وهكذا فقد الناس اهتمامهم بغيرهم • فتسلطت الانانية الفردية وحب الذات • وهذه المظاهر كلها تدل على انحطاط الحضارة والقضاء على القيم الانسانية •

ان ما يخيفني هو هذا الشعور الذي يتولد عند المرء بأن لا أحد يحبه حقاً • والمرء الحكيم يستطيع ان يفرق بين المحبة الحقة وتظاهر الناس بها • فالمحبة تنبوع من القلب وتعني التضحية • وطالما ان الناس لا يضحون لاجل غيرهم ، فان المحبة تموت • وهكذا يموت الانسان •

الانسان الذي لا يحب لا يضحى • ومن لا يضحى لا يشعر بعظمته في هذا الوجود العظيم • والانسان الذي لا ينبض قلبه بالمحبة ولا يشعر بألم غيره لا يحقق شيئاً من كيانه •

كيف يمكن ان يقضي الانسان على انسانيته ؟ الا يعني هذا انه قد قضى على حضارته أيضاً ؟ مادامت المحبة هي أرفع وأنبل قيمة في الوجود ، فكيف يتجرد الانسان منها ؟ هل تصورت عالماً قد خلا من المحبة ؟ هل رأيت زوجاً يرتبط بزوجه بدون محبة ؟ هل رأيت أمّاً تضحى لاجل ولدها بدون محبة ؟ هل رأيت نبياً أتى الى الوجود بدون محبة ؟ هل رأيت تضحية بدون محبة ؟ فالمحبة اذن هي النور السرمدي لوجود الانسان •

لاستطيع روح الانسان أن تقوم بعملها في هذا الوجود بدون محبة • ان الروح الغاضبة والناقمة والحاقدة والمتذمرة لا تستطيع ان تفهم وتدرك وتتأمل • والعقل الجامح الذي يتأثر بالانفعالات الهوجاء وأعاصير الاعصاب المنهكة أو الثائرة والتي تصبح عبدة ذليلة للغضب وتنقل لاهواء الذات المتمثلة بالحقد والكراهية والكبرياء ، هذا العقل لا يستطيع ان يحقق قواه • لذلك كانت المحبة كالماء الراكد الصافي • ونحن لانستطيع أن ننظر الى قاع الماء ونرى ما يحتويه الا اذا كان صافياً ونقياً • وبواسطة الصفاء نستطيع ان نرى جوهر الشئ • واذا ماهبت العواصف وأضحى الماء قذراً فان الركود والسكينة يضمنحلان • • ولا نرى ما كنا نراه •

•••••

ان المحبة هي التي تقود الروح والعقل الى السكينة والهدوء لكي يحققا كيانهما • أما اذا لعبت عواصف الحقد والغضب والكبرياء ، واذا ثارت نائرة الشهوات والانفعالات ، فان الانسان يهلك ويصبح عبداً لمادته •

وإذا تجرد الانسان عن المحبة فان شهواته تسيطر عليه
وتتلاعب فيه رياح وعواصف الحقد والسيطرة والى ما هنالك من
مفاهيم ذاتية •

•••••

رأيت ان الناس قد تجردوا من المحبة وطغت على قلوبهم
جميع الالهواء والنزوات • وأصبح الانسان يفضل مصلحته
الخاصة ••• وهكذا أصبح لامبالياً • واللامبالاة هي انحلال
المجتمع وتغلب النزعة الفردية • والنزعة الفردية هذه هي
وسيلة لتحقيق الذات بكل مظاهرها من أنانية وسيطرة وشموخ
وكبرياء وتسلسل وكره وبغض واحتقار الغير • وهكذا تتهدم
الحضارة •

ان الفردية مرض من أمراض الحضارة لان الانسان لا يفكر
الا بتحقيق مطالبه ورغباته • ومتى تعلق الانسان بمطالبه فانه
يعمل على تحقيقها دون سواها • ولا يمكن ان يحقق الانسان
مطالبه الا اذا أساء الى الآخرين ، فيبقى هؤلاء دون تحقيق شيء •
ويؤدي هذا الى صراع عنيف بين الفئات الاجتماعية وذلك لان
الفردية التي تركزت بالمصالح وتمثلت بالمطالب لاتعمل الا لاجل
تحقيق الذات • وهكذا يصبح الانسان أنانيا وبالتالي مريضا •

•••••

حضارتنا موبوءة ومريضة لانها أصبحت حضارة الفرد ،
حضارة نزعاته وأهوائه ، حضارة تحقيق مطالبه بأية وسيلة
كانت ، حضارة مكيا فللي ، حضارة تحقيق الهدف الذاتي ،
حضارة عدم الاعتراف بحقوق الغير ، حضارة التغاضي والتعدي
على حقوق الغير ، حضارة عدم التفكير بالغير ، حضارة التنكر
لانسانية الغير ، حضارة تتمثل بالصراع لاجل تحقيق كل
مايمت الى الفردية بصلة •

الخلق لا بد وان تبدو فيه المحبة كتاج مرصع تنقش عليه جميع الآيات التي وجدت لتكريم الانسان . بالتهذيب يحب المرء نفسه ويحب غيره . . . فيضحى . ولا تكون التضحية بقتل الناس وأماتتها بل باحيائها واحياء الفضائل والقيام بالاعمال الجليلة .

لقد قيل في القديم « يجب أن يخجل الانسان أن يموت قبل أن يكون قد قام بعمل جليل وعظيم » . فالعمل الجليل والعظيم ، والفكرة الطيبة ، والارادة الحسنة ، والمثالية العالية ، والخلق الرفيع ، والابتسامه البريئة . هذه كلها من صفات المحبة .

الرسالة الثالثة

يعود استمراري في الكتابة للثقة التي أوليتني اياها
وللتشجيع الذي أظهرته لي • أنت محق ، كان يجب أن لا أعتد
على اسلوبي هذا • ولكن ماذا أفعل ؟ لقد وجدت صعوبة كبرى
بادئ الامر ، وكدت ان أتجاهل هذا الموضوع لانني لم أستطع
ان أنظم أفكارني في اسلوب فلسفي •

لقد زودتني بنصائحك الجميلة ، وسأستمع لك دوماً •
وفي رسائلي القادمة سأطرق الموضوع بدون مقدمات •

•••••

تزداد دهشتي يوماً بعد يوم • ولا أكاد أصدق ما أسمع
وأرى • وكثيراً ما أشعر أن ما يحيط بي ليس الا اسطورة من
اساطير القدماء • وأصبحت لا أدري ان كان الانسان قد
تجرد من كل القيم التي وهبها إياه الله ! وكلما حاولت أن أبرر
أعمال الناس ، أراني أحدد تبريري بكلمة هي « المصلحة » •
هذه الكلمة التي عبرت عنها في رسالتي السابقة بالانانية •

•••••

ان مجتمعنا موبوء ومريض • أتعلم ان الانسان أصبح
عبداً لشر كبير هو الكذب ؟ ولا أبالغ اذا قلت لك أن الكذب
أصبح مؤسسة اجتماعية • الكل يكذب •

هل تصورت انساناً يحدثك بأمور وأشياء كاذبة ، ومع
ذلك توافقه ؟ هل تصورت انساناً يكذب عليك لانه يريد ان
يجد مخرجاً ، فيحرف أقواله ويتظاهر بالنبل والاستقامة
والكرامة ؟ هل تخيلت انساناً يتراءى لك بأنبل صورة وأعظم

مثال ويتظاهر بالخير والصلاح لكي ينال ما يريه ويحقق مطلبه ؟ هل رأيت انساناً يقدم لك خدماته ويمجّدك بلسانه مع أنه لا يطبق شيئاً من الذي يقوله ؟ هل وجدت انساناً يبتسم لك ابتسامة تبدو انها بريئة لكي يحصل منك على وعد او على شيء ؟ هذه أسئلة وضعتها أمامك لكي تتصور حالة هذه الحضارة التي يتسلط عليها مفهوم واحد هو الكذب . اني استمعت الى الاساتذة « الكبار » الذين يعتبرون أنفسهم مربى الاجيال فوجدتهم لا يفقهون الكثير ولا يعنون منه شيئاً . انهم يبتعدون كثيراً عن أقوالهم ولا يطبقون حرفاً منها . . . وهكذا هم يكذبون . واستمعت الى الموظف الجالس وراء طاولته فوجدته يخادع ويماطل ويكذب . وجدته يعد بأشياء لا حقيقة لها ولا يقوم بعمله . وهكذا فهو يكذب على نفسه وعلى غيره . واستمعت الى التاجر الذي يصور لك سلعته ويجعل منها الجمال المسجد . فوجدته يكذب . واستمعت الى كثير من الناس الذين يصورون لك الاشياء بصورة جميلة لكنهم يرمون الى هدف أبعد . . . فوجدتهم يكذبون .

.....

لقد دهشت وعجبت ! وأي أمر يمكن أن يزيد في دهشتي أكثر من انسان يغلف نفسه برداء الصدق مع أنه كاذب ؟ وهذه مشكلة كبرى وتأخر شديد . لقد أصبح الصدق والاستقامة والصلاح والخير وسائل لتثبيت الكذب . وبصعب عليك أن تميز بين شخص وآخر طالما ان الجميع يتسترون بثياب الحقيقة والخير . وأية صدمة أشد على القلب من تلك التي لا يمكن التغلب عليها ؟

لقد قسمت هؤلاء الكذبة الى ثلاثة أقسام :

الكاذب الذي يبدو انه يكذب فتعرفه بسهولة .

الكاذب الذي يراوغ ويخادع لكي يحصل على شيء أو
ينفذ أمراً .

الكاذب الذي يتستر برداء الحقيقة والصدق
والاستقامة والخير .

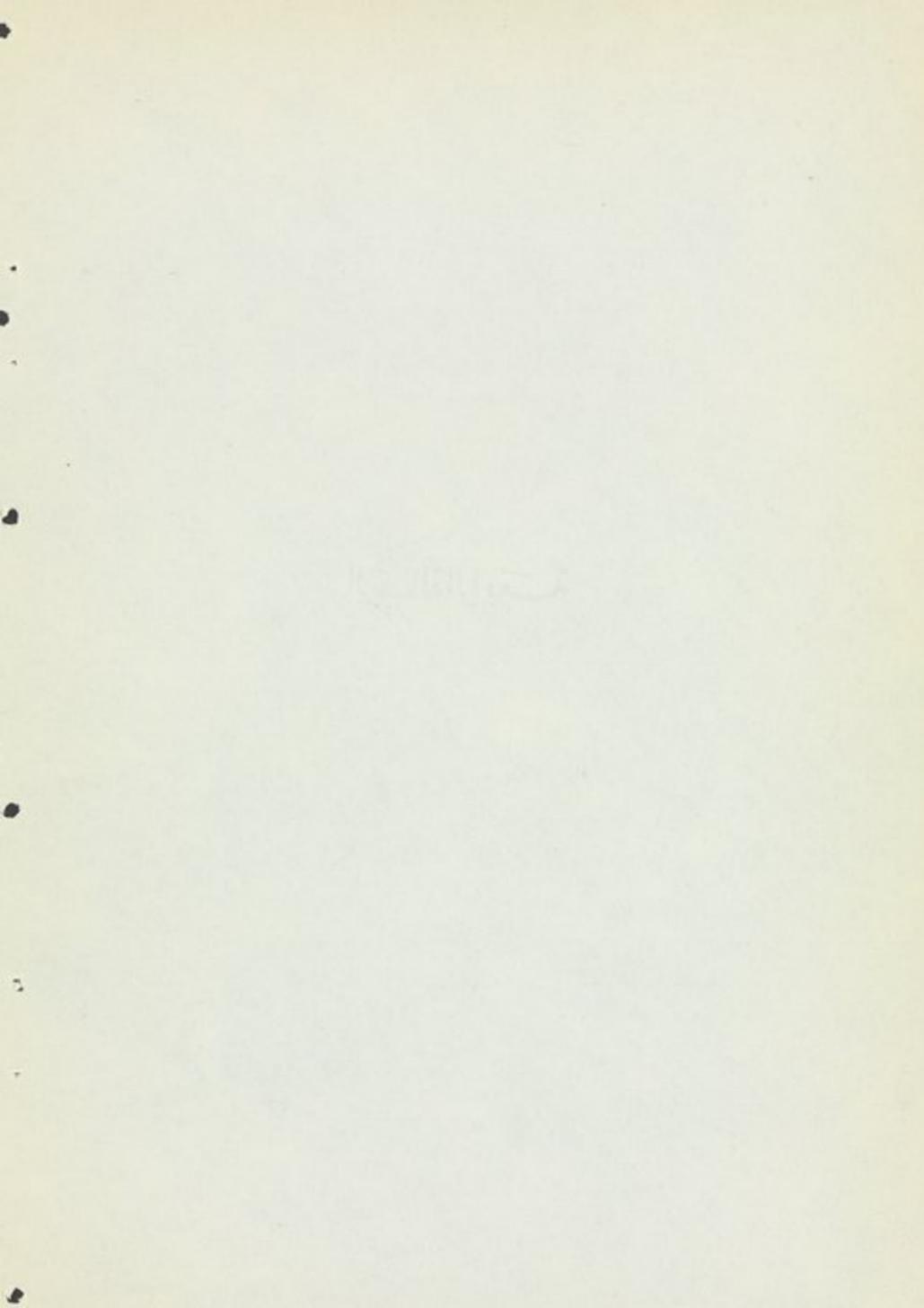
ان النوع الثالث هو أسوأ أنواع الكذبة لانه جعل من
الفضيلة وسيلة لهدف منحط . فكيف يمكن ربط الاستقامة
والصدق بالكذب ؟ الا يجعلك هذا الكاذب ان تفقد الثقة
بالجميع ؟ الا يقودك الى عدم الاعتراف بأحد ؟ الا يجعلك ان
تنظر الى الصدق والاستقامة والحق انها مفاهيم وقيم خيالية
لا تطبق في هذا العالم ؟

الكذب عامل من أهم عوامل تقويض الحضارة وتهديم
عرش الفضيلة . انه يؤدي الى عدم الاعتراف بعالم تسوده
الفضيلة ويعمل فيه الخير . انه يعتبر الانسان الفاضل خيالياً
ومثالياً وشاذاً ويتهمه بأنه يعيش في عالم الطوباوية . ان الكذب
مصيبه الحضارة لانه . يؤدي الى تحقير الشخصية الانسانية اذ
ينظر الناس الى بعضهم كأنهم كذبة ولا يصدق الواحد الآخر .
وتجثم هذه المصيبة في ان جميع الكذبة يتظاهرون بتصديق
بعضهم ، ولا يتورع من يكذب عليك أو تكذب عليه أن يودعك
الى الباب ويفتحه لك ويبتسم ويعدك بالآمال الكبيرة . وهكذا
يقف جميع الناس على هذا المسرح ولا نستطيع ان نفرق بينهم .
ان ما يؤلمني ويزيد في دهشتي هو ان الناس أكثر ميلاً

لتصديق الانسان الكاذب وذلك لانه ينمق الكلام باسلوب لبق
ويظهر الامور على عكس ماهي ، ويصورها كما يريدھا الناس .
وأين يمكن أن يقف الصادق ؟ انه يرذل لصدقه وأمانته ! وهكذا
تموت الفضائل وتبقى الرذائل ! اذ لا يجد الانسان وسيلة ، غير
الكذب ، ليحقق مطالبه وينال ما يرغب فيه .

لقد ماتت الفضيلة ، فضيلة الصدق والشرف . هكذا
أقام الناس تمثالا للكذب وشادوا مدرسة يخرج منها
الكاذب بأرفع المناصب والاوزمة . . . وهكذا أصبح الكاذب هو
الانسان الناجح ، الانسان الذي يؤخذ مثلا صالحا لغيره ! وهكذا
ماتت الحضارة لان الانسان قد دفن الصدق والفضيلة في كفن
بسيط وشاد حضارته على مفاهيم جديدة ترمز الى الكذب والى
الدور الذي يلعبه في تقويض الحضارة .

الرسالة الرابعة



صديقي ٠٠٠

تتهمني بالتطرف ! وكيف يمكنني ان اكون متساهلا مع من يتنكر لحقيقة انسانية ؟ وهل تستطيع ان تنظر الى امور الحياة وتعتبرها امورا لا اهمية لها ؟ الا نعتبر حياتنا عندئذ مرورا سريعا في عالم يسوده النظام ؟ الاحقيقة في هذا العالم ؟ ان كان هذا العالم مجردا من الحقيقة فمن الحق ان اصمت لان الكلام لاينفع ، وان كان معبرا عن حقيقة فمن الحق ان اتكلم .

ماهو الافضل ؟ ان نغلق افواهنا ونكون كالاموات ونحن احياء ، او ان نكون احياء بكل معنى الكلمة ؟ انني اعتبر نفسي حيا ، اذن اعتبر نفسي ممثلا للحياة لان صفات هذه الحياة تركزت في كائنسان . ولذلك يجب أن أحقق قوة الحياة ، نظامها ، عظمتها ، حقيقتها وصلاحها وخيرها . فالحياة او الطبيعة او الوجود الانساني لاتحمل معنى الشر بل هي خير مطلق . وهذا الخير هو الفضائل التي خلقت لاجل الانسان . ولذلك يجب ان يعمل الانسان لاجل تحقيق اكبر قسط من وجوده اي من خيره المطلق .

وهكذا لايمكن لمن يرى أن يصمت . وأن من يصمت عن الحقيقة لابد وان يقترب الشر ويقع في الخطيئة . فالنور لايمكن ان يخفي الاشياء بل يظهرها . وهكذا يجب ان لايعيش الانسان في عالم الظلام . ومن يعيش في عالم الظلام يموت وهو حي . ولا يمكن ان ينصاع الانسان لمفاهيم لاتقوده الى الحقيقة ولا تنير له الطريق . واي انسان لايعمل لاجل تحقيق هدف نبيل ؟ هو ذاك الذي لايهتم بنفسه كإنسان فيرذل نفسه ،

ويحقرها ويكذب عليها ، وبالتالي لا يكون اهلا لان يحمل اسم
انسان .

.....

جذب اهتمامي موضوع مهم هو التربية . وهذه الكلمة
تنطوي على معان متعددة . فالبعض يتخذ منها وسيلة لصقل
المواهب ، والبعض يعتبرها وسيلة لاذكاء الدماغ ، ويعتمد
عليها البعض كأسلوب لتهديب النشء . وانا من جهتي لن
اتدخل الا في الناحية الاخيرة لانني اعتبرها الرباط الذي يقوم
بين الآباء والابناء مباشرة .

ولايمكنني ان ابحث في موضوع التربية كما جاء في الكتب
العديدة التي بحثت فيه وناقشته . وليس بمقدرتي ان اورد
النظريات المختلفة التي تتخذ كوسيلة للتربية . لذلك سأحصر
بحثي في القيم البسيطة التي يعتبرها الناس والتي يلقتها
الآباء لابنائهم .

.....

يؤلمني ان اقول ان التربية قد فقدت معناها تماما . وان
مشكلة انجاب الاطفال لم تعد مسألة تربية لاجل تنمية ارواح
تجسدت والاخذ بيدها الى أعلى درجة من سلم الحياة . لقد
اضحت التربية وانجاب الاطفال انموذجا اجتماعيا يقتدي فيه
الجميع لمجرد التقليد . والتقاليد الاجتماعية كثيرة ولا حصر
لها . فهناك الآباء الذين يرغبون في انجاب الاطفال فقط لكي
يحملوا اسماءهم والقابهم يوما ما ، ولكي يرثوا عنهم ملكياتهم
بعد مماتهم . ويتعلق هذا التقليد بمسألة امتداد الذات . وان
رغبة الناس في امتداد ذواتهم مشكلة تتعلق بالانانية مباشرة .
ولذلك فان هؤلاء الذين ينجبون لاجل هذا المفهوم يفقدون كل
اهمية للتربية لانهم لم ينجبوا لكي يهذبوا روحا وجسدا اي

انسانا بل لكي يحمل انسانهم الجديد مفاهيمهم وقيمهم
ومناقبيتهم وسلوكهم وطرق معيشتهم . وهكذا فإنهم لم يفعلوا
شيئا جديدا وبالتالي لم يعملوا على تطوير القيم البالية وخلق
قيم جديدة ، بل انهم ابقوا على تقاليدهم وعاداتهم القديمة .
وهؤلاء قد ماتوا في الماضي لانهم لم يخلقوا شيئا جديدا .

وهناك من ينجب حبا بالتقليد . وهذا النوع من الناس
لا يعرفون الكثير عن حياتهم ووجودهم . فهم يقلدون غيرهم
ويعملون الاشياء بشكل تلقائي . واذا سألتهم عن اسباب
رغبتهم في شيء فلا جواب عندهم الا « هكذا عشنا ، هكذا
تعلمنا وهكذا فعل الآخرون » . لا يمكن لأناس من هذا النوع أن
يقوموا بتربية اولادهم تربية صالحة لانهم لا يحملون فكرة
ولا يهدفون الى تحقيق مثال .

وهناك من ينجب لمجرد الاحساس بان الانجاب مكمل
لوجودهم المادي ، او لانهم يشعرون بأنه نتيجة « طبيعية »
للزواج . وهكذا فهم يتلقون اولادهم ويعتبرونهم ثمرة ارتباطهم
هذا . وهذا النوع من الناس يحاولون أن يقوموا بواجبهم
لان هذا الواجب قد فرض عليهم .

وهناك من ينجب ، وهم القلة ، لكي يهذبوا روحا اتوا
بها الى الوجود . وهذا النوع من الناس يعتبرون لقلتهم النخبة .
ويجد هؤلاء القلة او النخبة صعوبة كبرى في تنشئة اولادهم
لانهم محاطون من كل جانب بفئة كبيرة من الناس تغاير مفاهيمهم
وتختلف عنهم اختلافا بينا . لذلك نجدهم محافظين نوعا ما ،
منعزلين الى حد ما ، فهم لا يقدر ان يسيروا مع الركب ولا

ان يوافقوا على المبادئ العامة التي يتبعونها ولا ان يتفقوا معهم
في قضية التربية . وهؤلاء القلة هم جماعة من الاخلاقيين .

.....

يقوم الجميع بتربية اولادهم حسب مفاهيمهم ، ولذلك
سوف اتجنب ذكر الاقلية لانها تقوم بتربيتها وفق اخلاقها
الخاصة ووفق الاسس التي ساذكرها . تنشئ الفئات اطفالها
الذين اتوا الى الوجود لتحقيق اهدافهم وغاياتهم . ولذلك فقد
اتي هؤلاء الاطفال لكي يحققوا غايات آبائهم ، وهكذا فقد
خطط لهم هؤلاء الآباء برنامجا قبل مجيئهم ، ووضعوا لهم
هدفا وغاية قبل ميلادهم أو بعده . وهكذا يربي هؤلاء الآباء
ابنائهم حسب المفاهيم التي كانوا قد صاغوها والاسس التي
كانوا قد وضعوها .

تندم التربية في مثل هذه الحال لان انجاب الاطفال كان
نتيجة فكرة طاغية ومسيطرة في عقل الآباء نتيجة تآثرهم
بالقواعد الاجتماعية العامة . فالولد يأتي لكي يحقق فكرة ابيه
وامه ولذلك فإن تربيته تعتمد عليهم . فيعمل الآباء كما
يشاؤون . ويبدأ الوالدان :

يبدأ الوالدان بتعليم اولادهم مهارة العيش ومهارة
الحصول على العيش بوسائل وطرق تكفل لهم النجاح .

يبدأ الوالدان بتلقين اولادهم الطرق الاجتماعية الناجحة
وكيفية الحصول على المراكز العليا .

يبدأ الوالدان بتنشئة اولادهم على المكيافيلية وتحقيق
مآربهم بأية وسيلة كانت .

يبدأ الوالدان بتلقين اولادهم فن النجاح ، فن الانتصار

على الغير ، فن القوة والغلبة • وعندئذ لايتفهم الاولاد معنى « فن القوة » هذا اذ يعتبرون القوي هو ذاك الشخص السذي يصل الى ماآربه بطريقته ووسيلته ويحصل على مايريد •

يبدأ الوالدان بافهام اولادهم بانه يجب ان ينجحوا والا فان غيرهم سيمتغلب عليهم وينجح عوضا عنهم . فالغلبة يجب ان تكون لهم والا فانهم يضيعون الفرص المؤاتية •

يبدأ الوالدان بتقديم اولادهم وتدريبهم على وسائل النجاح . فالتاجر يأخذ ولده الى متجره • ويرى الولد هناك امورا لايفقهاها • فهو لا يعلم كيف يربح والده المال الكثير ! ولا يعلم لماذا ربح الكثير ! بل يعلم ان الربح الكثير فن ومهارة • وهكذا يتعلم الولد المهارة « القتالة » وفن التربص بالآخرين والكذب عليهم ، دون وعي وادراك •

يبدأ الوالدان بتعليم اولادهم وسيلة الاقدام، اذ يظهرون لهم ان الحياة الاجتماعية مملأ بالكذب والنفاق • ويستنتج الولدان البشر جميعهم منافقون • وماهي الوسيلة التي يجب ان يعتمدوها ؟ الدهاء •• وهكذا يأخذ الولد صورة كاذبة او غامضة عن الحياة الحقة •

يبدأ الوالدان بتعليم اولادهم ان المال كل شيء وانسه الوسيلة الوحيدة للشراء والبيع واقتناء المنزل الفخم والزواج والجاه • ويفتخر الوالد بان حصوله على المال كان نتيجة جهده وكده • ويفتخر انه بهذا المال ، يرسل اولاده الى المدرسة • ويقتنع الولد بان المال وسيلة لتحقيق كل شيء ، لتحقيق العلم ومن لا مال له لا علم له ، لتحقيق الفضيلة طالما انه لا مدرسة بدون مال ، لتحقيق السعادة طالما ان الانسان لا يستطيع ان يشتري الاشياء بدون مال ، لتحقيق الرفاه والاستقرار والراحة

طالما أن الانسان لا يستطيع أن يشتري الثياب الثمينة بدون مال ، لتحقيق الجاه طالما ان الانسان لا يستطيع ان يكرم الآخرين بدون مال ، لظهار المحبة طالما ان الانسان لا يظهر ولا يبرهن عن محبته الا بالمال ، لتحقيق كل شيء طالما ان كل شيء يشترى بالمال .

وهكذا ينمو الولد ويتطور عقله ويتعلق بكل هذه المفاهيم . فهو يرى أن ذهابه للمدرسة وحصوله على الشهادة ليس هو الا تحقيق هدف اجتماعي ومركز لا بأس به ويشعر ان كل ما يدعوه اخلاقا لا يعتبر وسيلة لكسب المال او الجاه . لذلك فان تربيته تتجه نحو تحقيق الذات . وهكذا يتعلم الاولاد أن يحققوا المفاهيم التي رواها عند آبائهم وسمعوها منهم . وهذه المفاهيم الخاطئة تسود وتسيطر على عقولهم فيعملون لاجل تحقيقها . وعملهم هذا يصبح مرتبطا بتحقيقها في الحلقة الاجتماعية . وهكذا فان المجتمع الذي سيكونون به والصفات التي سيتصرفون بها هي نتيجة حتمية لما تعلموه وتلقنوه . وهكذا يصبح الاولاد عبيدا لتلك الاوصاف والمفاهيم والقيم التي تعلموها دون ان يدركوها .

.....

هذا ما يتعلمه الاولاد من آبائهم . ولكن ماذا يجب ان يعلم الآباء الابناء ؟

.....

يجب ان يعلموهم المحبة وبالتالي التضحية .
يجب أن يعلموهم حب التعاون لكي يقضوا على فرديتهم وليكونوا فعالين في المجتمع .
يجب ان يعلموهم ان العمل المثمر هو الوسيلة الوحيدة للمعيشة .

يجب ان يعلموهم الشجاعة الادبية الحقبة لكي لا يكونوا
جبناء .

يجب ان يعلموهم الحق لكي يسيروا في طريق الحقيقة .

يجب ان يعلموهم العمل المجدي والنافع اجتماعيا .

يجب ان يعلموهم ان العلم هو لاجل منفعة الانسان ،

لتطوير معرفته وان الانسان قد وجد في الحياة ليفهم وليعرف .

وهدف الانسان هو المعرفة .

يجب ان يحثوهم على الفضيلة لانها المعرفة .

يجب ان يعلموهم ان اللذة تختلف عن السعادة . اللذة

مؤقتة وتتعلق بعمل آني بينما السعادة هي دوام غبطة الانسان

وتعقله وعمله للخير والصلاح .

يجب ان يعلموهم ان يوجهوا قواهم وطاقاتهم نحو المجتمع

وان يعملوا لاجل منفعة الآخرين ، لان قيمة الانسان هي في قدرته

على التضحية بفرديته .

يجب ان يعلموهم ان قيمة الانسان هي في عمله الحقيقي

في فضائله ، في تواضعه ، في احترامه للغير ، في أخلاقه وفي

معرفته وعلمه .

يجب ان يعلموهم ان النجاح يختلف عن العظمة . فالناجح

هو الذي يأخذ أكثر مما يعطي ، وهو تاجر . اما العظيم فهو

الذي يعطي أكثر مما يأخذ .

يجب ان يعلموهم ان الانسان يستطيع ان يكسب عيشه

بالتواضع الشريفة ، وان العظيم هو الذي يكسب بالحق .

يجب ان يعلموهم ان التواضع الحقيقي يعبر عن عظمة

الانسان ويقربه من الفضيلة والحقيقة .

يجب ان يعلموهم ان المظاهر الاجتماعية لاتعتبر مهمة مثل
الحقائق التي خلقت في الانسان ولاجله .

يجب ان يعلموهم بأن لايتكبروا على الغير وان يحترموا كل
كائن بشري مهما كانت منزلته أو نوع عمله .

يجب أن يعلموهم بأن يتحملوا المسؤولية وان لا يتهربوا
منها . وكلما كان الانسان مسؤولا كلما كان عظيما . والمسؤولية
هي ان يكون الانسان مسؤولا عن نفسه وعن الجميع .

يجب ان يعلموهم بأن لا يبيعوا أنفسهم وأن لا يكذبوا .
يجب أن يعلمون بأن لا يخافوا من المجهول لان الخوف
طاقة مدمرة لقوى الانسان .

.....

ان حضارتنا تبني مؤسساتها على كل ما يجهله الاولاد
والنشىء الجديد . هي حضارة تذوي وتموت طالما أن الأولاد
ينشأون على تقاليد عامة لاتمت الى واقع الحياة وعظمتها بصلة .
هكذا ينشأ الجيل على مفاهيم تعتبر مظاهر للحضارة فقط .
فالحضارة هذه هي حضارة المظاهر .

تقوم حضارتنا على مفهوم الخوف ، هذا الوهم المدمر ، ولا
يعيش فيها الا العجبان . وأما العجبان فهو الضعيف الذي يكذب
ويتهرب من المسؤولية ويلقي بها على غيره . أما القوي ، القوي
الذي لا يخاف ولا يتهرب من المسؤولية ويقول الصدق ولو على
نفسه ، هو الذي يبني الحضارة .

وبما ان حضارتنا لاتعتمد على القوي لذلك فهي حضارة

الضعف والتهرب ٠٠٠ الهرب من الحق ٠٠٠ والانزواء في خفايا
الذات والفردية والانانية ٠

وبما أن حضارتنا هي حضارة المهارة لذلك فهي تقود الولد
الى « تربية » شهواته وانفعالاته ولا عقلانيته ٠ انها حضارة
مدمرة لانها لاتتعلق بهدف ٠

الرسالة الخامسة

••• صديقي

لا أوافقك تماماً • انك تتهمني بالمثالية المتطرفة • وأنا من جهتي لا أتنكر لهذه المثالية اذا قيست الأمور بالمجتمع الذي يعيش فيه المرء • وحقيقة القول هو أن كل ما أتى في رسائلي السابقة يمكن أن يوضع موضع التنفيذ •

قل لي يا صديقي ، أيمكن أن يتطور الانسان الى الافضل ما لم يقفز قفزات كبيرة في عالم المثال ؟ وكيف يمكن اعطاء صورة عن المستقبل ما لم نتجاهل الوقائع التي تثيرنا وتوقظ فينا الانفعالات الغافلة ؟ واذا لم يفعل الانسان كما ذكرت فانه سيبقى في عالمه المتخلف •

أنا لا أستطيع أن أحكم على الناس أو أدينهم لكنني أقدر أن أنظر بعيني وأسمع بأذني وأتصور بعقلي • واجدني أرسم لمجتمعنا رسماً • ولذلك أردت في رسالتي هذه أن أحدثك في الزواج •

•••••

اني رأيت الناس يتزوجون لأجل المتعة •
رأيتهم يتزوجون لانجاب الاطفال وخوفا من الشيخوخة •
رأيتهم يتزوجون لانهم يريدون أن يفعلوا كما يفعل غيرهم أو كما فعلوا •

اني رأيت الناس يتعلقون بالمفاهيم التالية :

يقبلون على الفتاة « الجميلة »

تقبل الفتاة على الشاب « الظريف » •

- يقبل الشبان على الفتاة الغنية
- تقبل الفتاة على الشاب الغني
- يقبل الجميع على المراكز الاجتماعية وعلى الاعجاب
- بالمنازل التي « دكها » أصحابها بالاثاث الفاخر
- رأيتهم جميعاً يضعون شروطاً لزواجهم
- رأيتهم يبتهجون بالمجوهرات ، بالذهب والمال ويعتبرونها
- شرطاً أساسياً من شروط الزواج
- رأيتهم جميعاً يشترون ويبيعون
- رأيتهم جميعاً يتعلقون بهذه المفاهيم بينما يهملون
- الشخصية • وقيمون وزنا للملكية الانسان بينما يهملون الانسان
- ويغضون الطرف عن كرامته وشرفه

.....

- رأيت الشباب يتأخر في الزواج لانه أصبح لايطبق
- شروطه وقبوده
- رأيتهم يتأخرون في الزواج ليصبحوا « أهلا له »
- وتضيع عليهم فرصة ذهبية ... أضاعوها في اللهو
- والتسلية على حساب أخلاقهم ..
- وتضيع الفرصة على الشاب والفتاة
- فيقبلان بزواج بيع وشراء
- ويقبلان بزواج مصلحة وتفصيل متعددة
- ويتجردان من الادراك والمحبة والتفاهم
- ويقضيان على المفهوم الأسمى للزواج ... مفهوم
- خلق الانسان

.....

يبقى مفهوم هذا الزواج منحطاً لانه يعبر عن رغبة أو

- مطلب • وهذا عمل ذاتي لا يمت الى كيان الانسان بصلة •
- وهكذا يبقى الزواج متعة لانه ظل في اطار الرغبة والجموح •

•••••

هناك قلة من الناس يتزوجون للأسباب التالية :

يتزوجون لانهم يفتشون عن صديق ، ويريدون العيش معه • فما أجمل الصديق وما أعظمه !

يتزوجون لانهم يريدون أن يشاركوا شخصاً معيناً وجودهم وقيمهم ومفاهيمهم •

يتزوجون لانهم بحاجة الى المحبة والعطف والرأفة والحنان والتضحية •

يتزوجون لانهم يريدون أن يحيوا قدرة فيهم عن طريق الطبيعة • ويريدون ان يثمروا عن طريق طبيعي •

يتزوجون لان الزواج مكمل للجسد والروح معاً • وهل يتم الخلق بدون زواج اثنين ؟

يتزوجون لانهم ذكر وانثى خلقهما الله •

يتزوجون لانهم يعتقدون أن الجسد هو انا الروح ، والروح من الله • ولذلك فالجسد هيكل الروح أو الله • فاذا تم الزواج فانهم يعملون باراداته السرمدية والخيرة •

يتزوجون لانهم يعتقدون أن الزواج فضيلة وبالتالي عمل وجداني •

يتزوجون لانهم يقدسون ثمرة الزواج والوسيلة التي أتت بها هذه الثمرة •

•••••

ان الزواج هبة من الله • هو حلول الروح عند ماتت جسد •

هو غيبوبة أو نشوة الشعور والحس ، نشوة تنزع من المادة
هيكلا . . . هو الروح والجسد .

• مبارك هو الزواج لأنه من ارادة الله

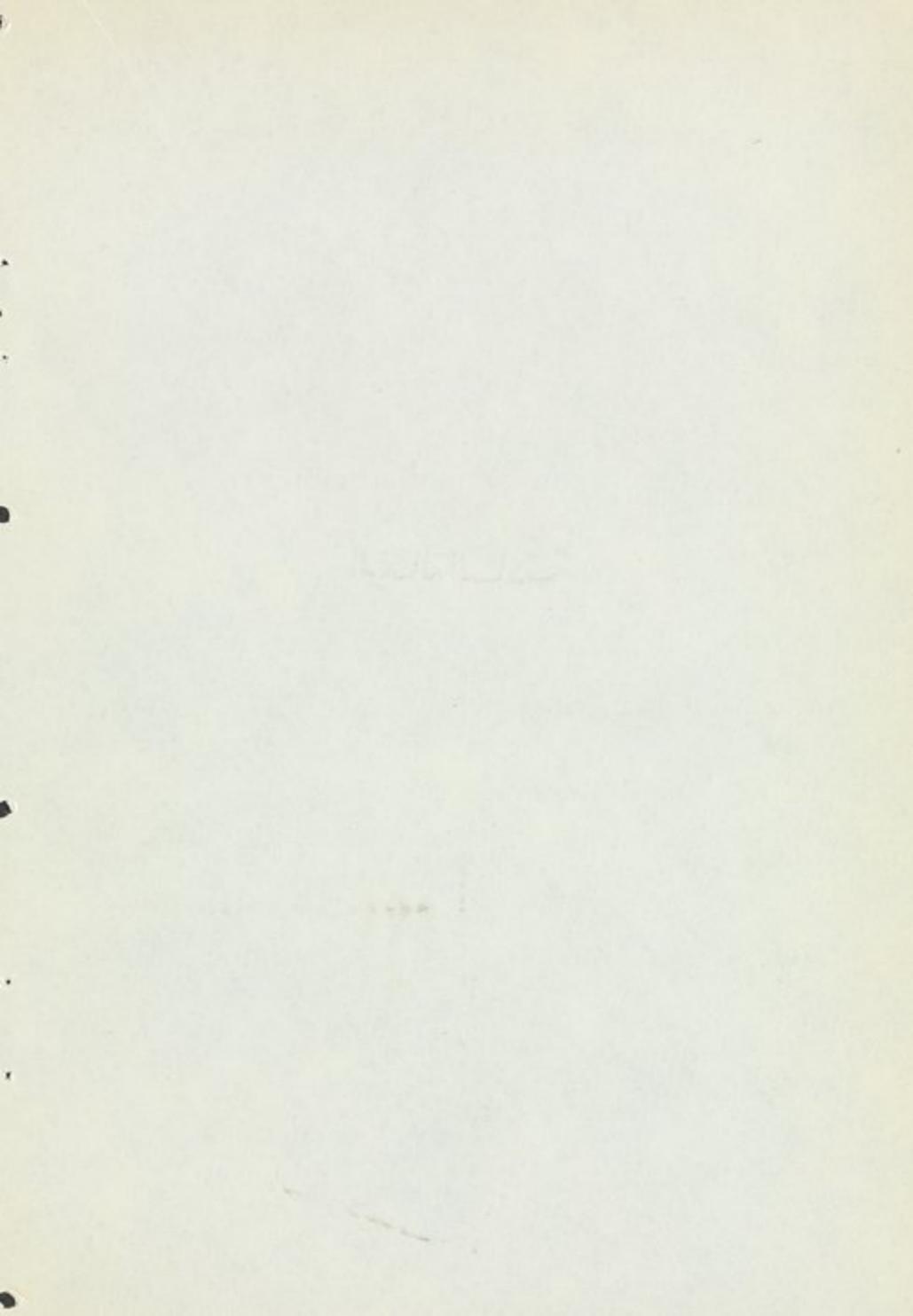
•••••

• الزواج يتم بدون المال والمجوهرات
ويتم بدون الحفلات الباهرة والمظاهر الخداعة التي يعقبها
الخصام وعدم الاتفاق .

• ويتم بدون المطالب العديدة والتفاصيل الكثيرة .
ويتم الزواج بالاتفاق الروحي والتفاهم النفسي وتقارب
الاذواق وانسجام الآراء .

• ويتم بالاحترام المتبادل وبالتضحية والحب الخالص .
ليت حضارتنا صحيحة . . . ليتها ما أصيبت بمرض عضال .
ليت مفاهيمها تستقيم وتجعل منها مبادئ طبيعية وعظيمة .
• ليت حضارتنا حضارة الزواج الصحيح .

الرسالة السادسة



••• صديقي

لقد أنقذني جوابك وخلصني من مأزق كبير ، وكدت أن
أتردد في الكتابة لولا أنني لمست في كتابتك تجاوبا وتاكيدا لما
أقول • وكادت عزيمتي أن تفتت ، وكاد الوهن ان يدب في
أوصالي وكدت أنهي كتابتي هذه لولاك •

ان تشجيعك لي مهم للغاية • وأنا أشكرك من أعماق
قلبي • وسروري قد صدر عن تفهمك لهذه الوقائع التي أعتبرها
أساسية في حياة الانسان • ليس من السخف أن نفهم الامور
ونتبناها كغيرنا ؟ أليس من حماقة أن نعمل أعمالنا دون تفكير
عميق ومعرفة دقيقة ؟ أليس من المخجل أن نجهل قوانيننا وقوانيننا؟
أليس من المخجل أن تموت هذه الطاقات أو تبقى خاملة ؟ أليس
من التأخر أن نهمل معرفة النظام الطبيعي للمكون ؟

هكذا انطلق من نقطة اعتبرها قيمة طبيعية ومبدأ عقلياً
شاملاً • فالطبيعة قد زودتنا بقيم ومبادئ لا تتبدل ولا تتغير ،
ولذلك يجب أن نسير وفقاً لها ، كما يجب أن لا نشذعنها • وكل
شذوذ عن المبادئ الطبيعية هو انحراف وبالتسالي يؤدي الى
الضرر والفساد والشقاء • وكل من يسير على قاعدة الطبيعة
يسير على طريق الحق • ان الطبيعة قد علمتنا المثال ، ولذلك
فان كل مبدأ طبيعي هو مثالي •

ليست المثالية اذن مايعتبره الناس خيالا ووهماً أو مسألة
يصعب تطبيقها • المثالية هي الواقع الطبيعي الذي يصدر عن
العقل وليس عن الاحساسات المباشرة التي تخطئ • لذلك هي
مبدأ طبيعي لان الطبيعة لم تخلق الا المثال الذي يعود
بالخير والصلاح •

ان ما نراه من فوضى وشقاء وتعاسة الناس يعود الى أنهم تجاهلوا القوانين الطبيعية . لقد جعلوا من الزواج مفهوماً اجتماعياً زائفاً ، لذلك تعاقبهم الطبيعة بشتى الوسائل لانهم انحرفوا . وجعلوا من المحبة والعطف والرأفة قاعدة اجتماعية تتمثل في الكذب ، وهكذا تعاقبهم الطبيعة بوسائلها الخاصة وبما نراه من خصام وكذب وأنانية وتأخر وتعاسة في المجتمع . وجعلوا من التربية الطبيعية وسيلة لامتداد ذواتهم وأنانيتهم ، وهكذا تعاقبهم الطبيعة بالفروق القائمة بين الآباء والابناء ، وبالاختلافات على صعيد العائلة ، وبالمساوىء العائلية التي لا تسود فيها المحبة .

فالقانون الطبيعي لا يرحم ولا يشفق . وكل من يشذ عنه يعاقب . ان النبات الذي يعيش بدون حرارة الشمس ونورها لا يلد وان ينوي ويذبل ويموت . والانسان الذي تتعارض مفاهيمه والطبيعة يفنى ويموت وذلك لأن القوانين الطبيعية تهدف للمثال أي الخير . ومن تجاهل المبادئ الكونية ينحرف ويصيبه التحول ويعتريه المرض . لقد نار هذا الانسان على المبادئ الطبيعية فعاقبته ، لا بل عاقب نفسه .

وبما أن الطبيعة لا تبرهن الا عن المثال لذلك فان كل مبدأ طبيعي يعتبر مثالياً . وما لا يكون طبيعياً يكون اجتماعياً أي غير مثالي . ان معظم المفاهيم الاجتماعية التي يعتبرها أصحابها واقعية هي ضد الطبيعة ، اذن هي غير مثالية . وكل ما نراه من تعاسة الناس وشقائهم هو نتيجة خروجهم عن المبادئ الطبيعية ، كما أنه نتيجة خلقهم السيء .

.....

اني أقيت نظرة على الشبان والشابات فوجدت أنهم فقدوا الكثير من المثالية . لقد اتصفوا بالاصطناعية وأضاعوا

لا يقرأون ويتفهمون ويدركون شيئاً عن الوجود ، شيئاً عنهم ،
وعن الحياة ؟

أصبح شبابنا لايهتمون الا باللباس والمظاهر الاجتماعية
الخداعة • لقد أبعدوا عن عقولهم كل علم حقيقي وكل عمل نافع
وكل حقيقة واضحة • وانساق شبابنا وراء أهوائهم الشخصية
محاولين تحقيق المظهر دون الحقيقة • لقد أغرتهم المظاهر حتى
صعقتهم وجمدت عقولهم وأثارت غرائزهم وقتلت فيهم روح
البناء • وهكذا بدأت الحضارة تموت •

فاذا كان عنصر الشباب قد وهن وداهمته سيول الالاهدية
واللامبالاة ، فان المجتمع يحتضر والحضارة تتقهقر وتستسلم
لعوامل غير طبيعية • لقد جعلت الطبيعة الشباب عنصر القوة ورمز
الجهاد وذلك لاجل تحقيق هدف الحياة • واذا كان الانحراف
قد حولهم من عنصر قوة الى عنصر وهن ، ومن عنصر جهاد وعمل
الى عنصر كسل وخمول وعقم ، فان الحضارة تحتضر •

ألا يخجل الشباب الذي لا يفكر الا باللباس والزينة ؟

ألا يخجل الشباب الذي لا يهتم الا في ارواء غرائزه
وانفعالاته اللاواعية ؟

ألا تخجل الفتاة التي لاتعرف شيئاً عن أمور مجتمعتها أو
عن العالم ، والتي لاتهتم بالعالم ، بالفقراء والمساكين الذين هم
بحاجة اليها ؟

ألا تخجل المرأة التي ترتدي ثوباً ثميناً ؟ هل يتحمل
جسدها ثقل هذا الثوب طالما أن عدداً كبيراً من الناس لا يجدون
ما يتسترون به ؟

ألا يعني هذا أن هذه المرأة لاتعمل للفضيلة والمعرفة ؟

ألا يعني أنها تجهل الكثير عن الحياة والاخلاق ؟ ألا يعني أنها أنانية لانهم الا بمظهرها وأهوائها ؟ ألا يعني أنها لاتفكر بغيرها؟

ماذا تعرف الفتاة أو السيدة عن الضرائب التي ترهق كاهل المجتمع ؟ ماذا تعرف عن الفقراء الذين لايجدون مأوى ؟ ماذا تعرف عن المساكين الذين يقيمون في منازل بسيطة ؟ ماذا تعرف عن الجوع ؟ ماذا تعرف عن دنياها وسبب وجودها ؟ فكيف اذن تستطيع أن تلبس ثوباً ثميناً ؟

ألا يخجل هذا ؟ ألا تخجل المرأة عندما تعرف أن ثمن ثوبها يكفي لاشباع مئات الأفواه ؟

ألا تخجل روح الانسان وعقله من اللباس الثمين ؟ وهل يتحمل الجسد ، الذي حلت به الروح ، وزر اللآلئ والماس والذهب والرداء الذي كلف الكثير ؟

ألا يخجل الرجل أن يخضع لنزواته ونزوات زوجته ؟ الا يحقر نفسه عندما يصبح عبداً لاهوائه ؟ ألا يندي جبينه خجلاً عندما يتعلق بمظاهر خالية من الحقيقة ؟

ألا يخجل الناس أن يخضعوا لشهواتهم وينقادوا لها ؟

ألا يعلمون أن الخضوع والانقياد للشهوات هو عمل حيواني لا يخضع لتحكيم العقل ؟ ان من يفكر يعقل ، ومن يعقل يعلم ، ومن يعلم يتحرر من عبودية اللاوعي .

.....

لقد ماتت الحضارة وماتت روح الانسان ولا نرى سوى المظاهر .

لقد تحول الشباب من عنصر الحياة الى عنصر الموت تدريجياً .

لقد عدم التفكير عندهم وتحولت طاقاتهم الى أعمال
لاتطابق المبادئ الطبيعية • وهكذا ، فقد خرج الناس من
الطبيعة ودخلوا مجتمعهم الذي خلقوه - مجتمعهم الاصطناعي •
من أجل هذا الخلق الاصطناعي سقط آدم ••• ومن أجله
سقط الانسان ••• ومن أجله تقاتل قاين وهابيل ••• ومن
أجله ماتت الحضارة •

•••••

ان شقاء الانسان موجود في هذه المظاهر • فاذا تحرر منها
فانه يتحرر من الجهل والغباء ، من اللاهدية واللامبالاة ، ومن
عبودية الشهوات •

يجب أن يكون الشباب هدياً ، صاحب هدف رفيع •

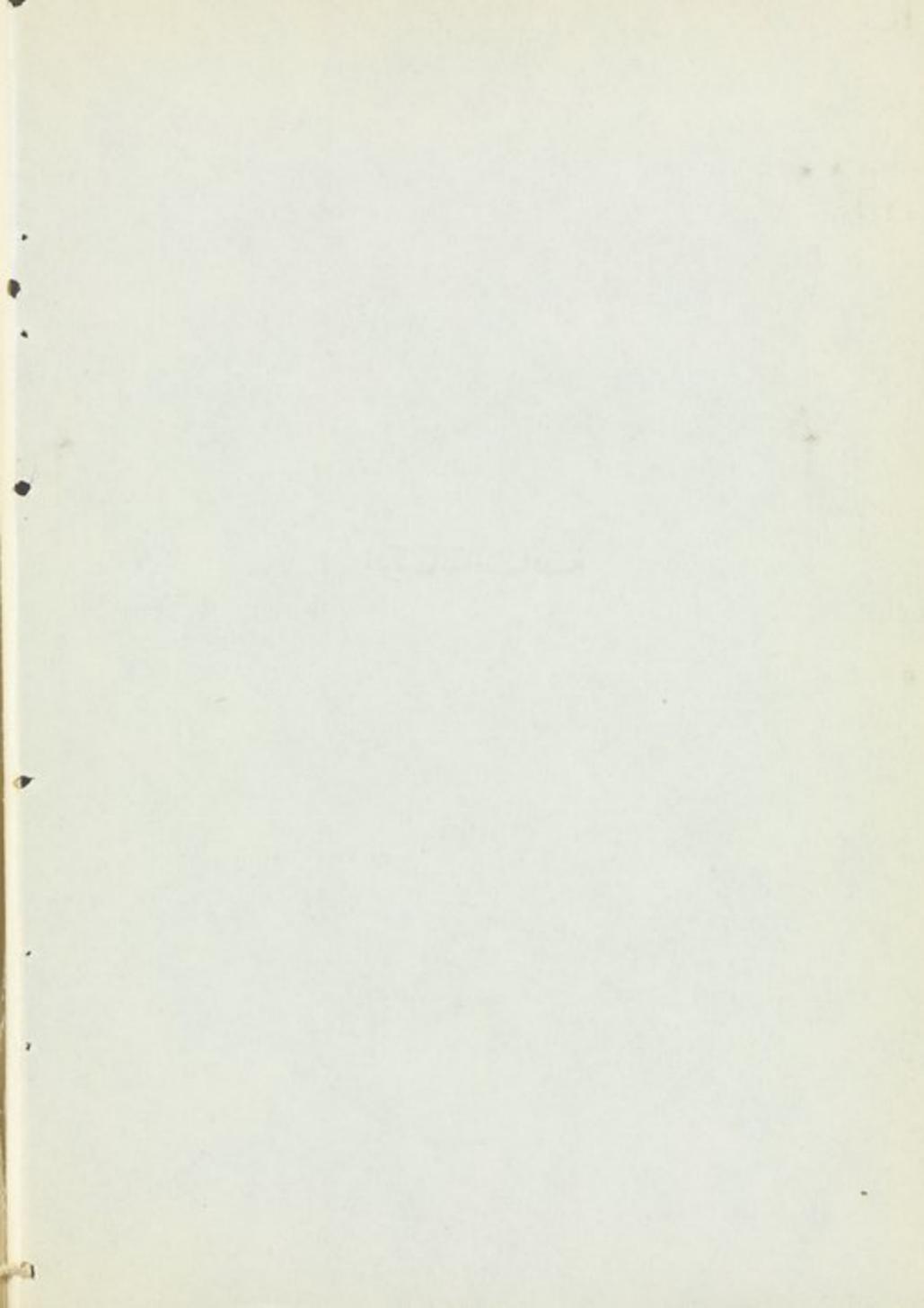
يجب أن يترفع الشباب عن كل المظاهر الخداعة •

يجب أن يعمل الناس لما هو أهم •• لاجل خلودهم في
عالم الحقيقة •

يجب أن يتعلم الانسان أن هناك عالماً أفضل في هذا العالم
بالذات ، عالم القيم والمثال ، عالم تحقيق الروح ، عالم تحقيق
المبادئ الطبيعية والابدية •

يجب أن يستيقظ الانسان من سباته العميق •

الرسالة السابعة



لقد صدقت في ماتقول . لم يخلق الانسان وفي عنقه طوق من اللآلئ أو عقد من الماس . لم يخلق الانسان وجيوبه مملأى بالمال وجسده مغطى بالثياب البراقصة . لقد خلق الانسان ببساطة وتواضع . أما جميع هذه الامور ، وعلى رأسها المال ، فقد وجدت للاستعمال البريء النافع ، كما وجدت لتكون وسيلة للتبادل . انها لم توجد كقيمة مطلقة . . . هو الانسان الذي خلقها . . . هو الذي أبدعها . . . هو الذي وضعها تاجاً على رأسه . . . هي الدعاية التي زادت من هذه البسطة . . . هي سخافة المرء التي نحتت تمثالاً لتعبده .

هذه هي حضارة الانسان . الحضارة التي خلقها . . . حضارة المظاهر السخيفة . حضارة قيمه ومفاهيمه التي تتعلق بالقشور الخارجية . لقد فعلت هذه الحضارة فعلها فجعلت من الانسان مسخاً . وعندما خلق الله الانسان ، خلقه بأجمل صورة حتى أنه أكسبه وأعطاه صورته . فالخلق كان على صورة الله ومثاله . لذلك كان الخلق جميلاً . والوجه ، بما أنه المعبر الاول عن الخلق ، جميل وجميل جداً . فكيف نسمح لانفسنا أن نمسخ خليفة الله الجميلة ونشوئها بأعمالنا المصطنعة والتي خلقناها وصنعناها ، فكانت غير طبيعية ؟ وهل أن هذه المظاهر تضيف الى جمال الانسان جمالاً ؟ وهل يعتبر كل انسان نفسه جميلاً ؟ وماذا عن القبيح ؟ هل تزيده المظاهر جمالاً ؟

لقد مسخ الانسان نفسه حتى بات مظهراً . وهكذا أصبحت الحضارة مظهراً . الا نعتبر أنفسنا متحضرين الا اذا جعلنا من هذه المظاهر هدفاً لنا ؟ ألا يحب الرجل زوجته الا اذا

قدم لها الماس والذهب ؟ ألا تحب الزوجة زوجها الا اذا قدم لها الماس والذهب ؟ ألا تعتبر المرأة مخلصه الا اذا بدت « بأبهي » زينة « وبأجمل » منظر ؟ ألا يستحق الانسان الحياة الا اذا حقق هذه الامور ؟

هل يستطيع كل فرد أن يعمل هذه الاشياء ؟ يوجد الملايين من الناس الذين لا يتمكنون أن يعملوا شيئاً من هذا . ألا نعتبر هؤلاء بشراً متحضرين ؟ وهل نستطيع أن نجردهم من الحضارة ؟ ألا نهم لا يقتنون مثل هذه الاشياء نجردهم من « أوصاف » الحضارة ونسلط عليهم سيف الموت والشقاء ؟

لقد تفتشت أمراض الحضارة في الانسان فأصبح ينظر الى عقد في الجيد ويهمل الوجه . ومتى كان العقد أجمل من الوجه ؟ وهل يتخلى الانسان عن أجمل ما فيه لكي يجذب الانظار الى قطعة من المعدن كانت مدفونة في باطن الأرض ؟ وهل يتجاهل الانسان تعابير الوجه والابتسامة النيرة والنظرات العميقة والملامح الالهية لكي ينظر الى قطعة من المعدن أو قطعة من القماش ؟

•••••

يصعب علينا أن نجد المرأة العظيمة والرجل العظيم . لقد انساق الجميع وراء شهواتهم ودوافعهم الفردية . لقد تحول الانسان من كائن انساني يمثل الالهية الى كائن اجتماعي يمثل المفاهيم الاجتماعية السائدة . لقد تنكر للمبادئ الطبيعية وللقانون الطبيعي الذي يحكم هذا الكون . ولذلك فقد خضع هذا الانسان لقوانينه هو ، قوانينه التي تمتاز بطابع الزوال والتبدل والموضوعية .

كيف ينظر الانسان الى نفسه والى غيره ؟ لقد تبلور موقف الانسان وسلوكه من نفسه ومن غيره . فالفرد الذي يمتلك

المفاهيم الاجتماعية يعتبر الشخص القوي الذي يحترم ويطاع .
لقد طغت المفاهيم الاجتماعية وأصبح الانسان يقاس بها . وهكذا
وجدت الفروق بين الناس . فتميز الواحد عن الآخر بسبب
هذه الفروق المصطنعة التي تعتبر من خلق الانسان .

ماهي الصفات التي يجب أن توجد في الفرد لكي يعتبر ناجحاً
وقوياً ومحترماً في المجتمع ؟ هي الصفات الاجتماعية التي تجعل
منه غنياً أو صاحب جاه أو صاحب مرتبة أو صاحب مهنة .
أما المدخل الرئيسي لهذه الصفات فانه المال . فالمال مقياس
فضيل للحضارة في الوقت الحاضر وفي كل وقت . وماهي الصفات
الآخري التي يجب أن تتوفر في مثل هذا الفرد لكي يعتبر ناجحاً
وقوياً ومحترماً ؟ هي الصفات الاجتماعية الآخري التي يعتبر
الناس صاحبها قوياً . . . فيعرف كيف يسلب غيره ويتسلط
عليه ، ويعرف أن يكون حاذقاً فيتهرب من أقواله ومسؤولياته
ويماطل ويسوف ، ويعرف كيف يعتمد على عادات « مهذبة »
فيقنع الغير « بلطفه » ويخدعهم بتصرفاته ، ويتقلب في كل
الأوجه ، ويتغلب على صعوباته بكل الوسائل . فاذا امتلك
الفرد هذه الصفات فانه يصبح ناجحاً في المجتمع .

وهكذا تقوم حقيقة الانسان الاجتماعية على هذه الصفات
المادية والمعنوية . وتكون الصفات المعنوية وسيلة للحصول على
المادية . فلا يستطيع المرء أن يصبح غنياً مالم يعتمد على وسيلة
الكذب والمهارة والتصرف بلباقة واستغلال الظروف . وتكون
الصفات المادية وسيلة للحصول على المعنوية أيضاً . فلا يستطيع
المرء أن يكون صاحب سلطة أو جاه أو مركز اذا لم يكن لبقاً
ومدعياً ، ويستند على جدار من الذهب . وهكذا تقوم المفاهيم

الاجتماعية على هذه الوسائل المختلفة التي تستعمل كوسائل
لتقييم الانسان .

.....

أين القيمة الحقيقية للانسان ؟ هل هي في هذه المظاهر
المتقلبة والتي لا تستقر ؟ واذا أخذناها بعين الاعتبار ، ألا يمكن
أن يتقلب المرء فيها من سيد الى مسود ومن ثري الى فقير ، فيفقد
القيمة التي كان يعتمد عليها والتي كانت قد حددت سلوكه
وموقفه الاجتماعي ؟ وعلى هذا الاساس يتبدل الانسان بتبدل
القيم الاجتماعية الزائفة . اذن لقيمة حقيقية للانسان في المجتمع
وذلك لأنه يعيش في عالم من فوضى القيم التي خلقها بنفسه
وطبقها على نفسه ، فثارت عليه وطغت وأخضعته لها ...
فأصبح عبداً .

هل تجثم قيمة الانسان في أخلاقه أم في شخصه المهذب ،
أم في صدقه واستقامته ، أم في كرامته وشرفه ونبله ؟ أين
تقع هذه المفاهيم الجديدة ؟ انها تقع في عالم القيم التي يطلق
عليها عنوان الفضيلة التي لا تطبق في المجتمع . فهل حكم على
المجتمع أن لا يحقق شيئاً من الفضيلة وان يبقى خاضعاً لمفاهيم
الذات التي تجعل من الانسان عبداً ؟

.....

كيف ينظر الغني الى الفقير ؟ وكيف ينظر الى كناس
الطرق ؟ وكيف ينظر الى بواب منزله ؟ كيف ينظر صاحب
الجاه الى الفقير ؟ كيف ينظر ذوو الالقاب الاجتماعية الى غيرهم
ممن حرموا منها ؟ كيف يعتبر الثري العامل الذي يعمل عنده
ولاجله ؟ كيف ينظر الى موظف في احدى دوائره ؟ ألا يعتبر هذا
الثري أن فارقاً اجتماعياً كبيراً يقوم بينه وبين من ذكرناهم ؟

أين قيمة الانسان ؟ وما هي الاسس التي نعتمد عليها في تقييم الانسان ؟ هل نعتبره مساوياً لغيره في القيمة ؟ انه كذلك . فلماذا توجد هذه الفوارق المادية المتعددة والمصطنعة ؟ لقد أقامت هذه الفوارق حواجز هائلة بين الانسان والانسان . لقد دكت عرش محبة الانسان للانسان وقضت على مفهوم مساواة الأخ لأخيه . فتقاتل قايين وهابيل .

لقد خلق الله الانسان . . . خلق الانسان الواحد وأعطى هذا الانسان صفات معينة . وعندما وجد أناس ، قام اختلاف شديد بينهم ، فتملك البعض بينما بقي البعض بدون ملكية ، وعمل البعض بينما بقي البعض بدون عمل ، وتسلط البعض بينما بقي البعض بدون سلطة ، ورتب البعض لانفسهم مراتب خاصة بينما لم يعمل الآخرون مثلهم ، وأقام البعض لذاتهم خصائص حرموها منها الآخرين .

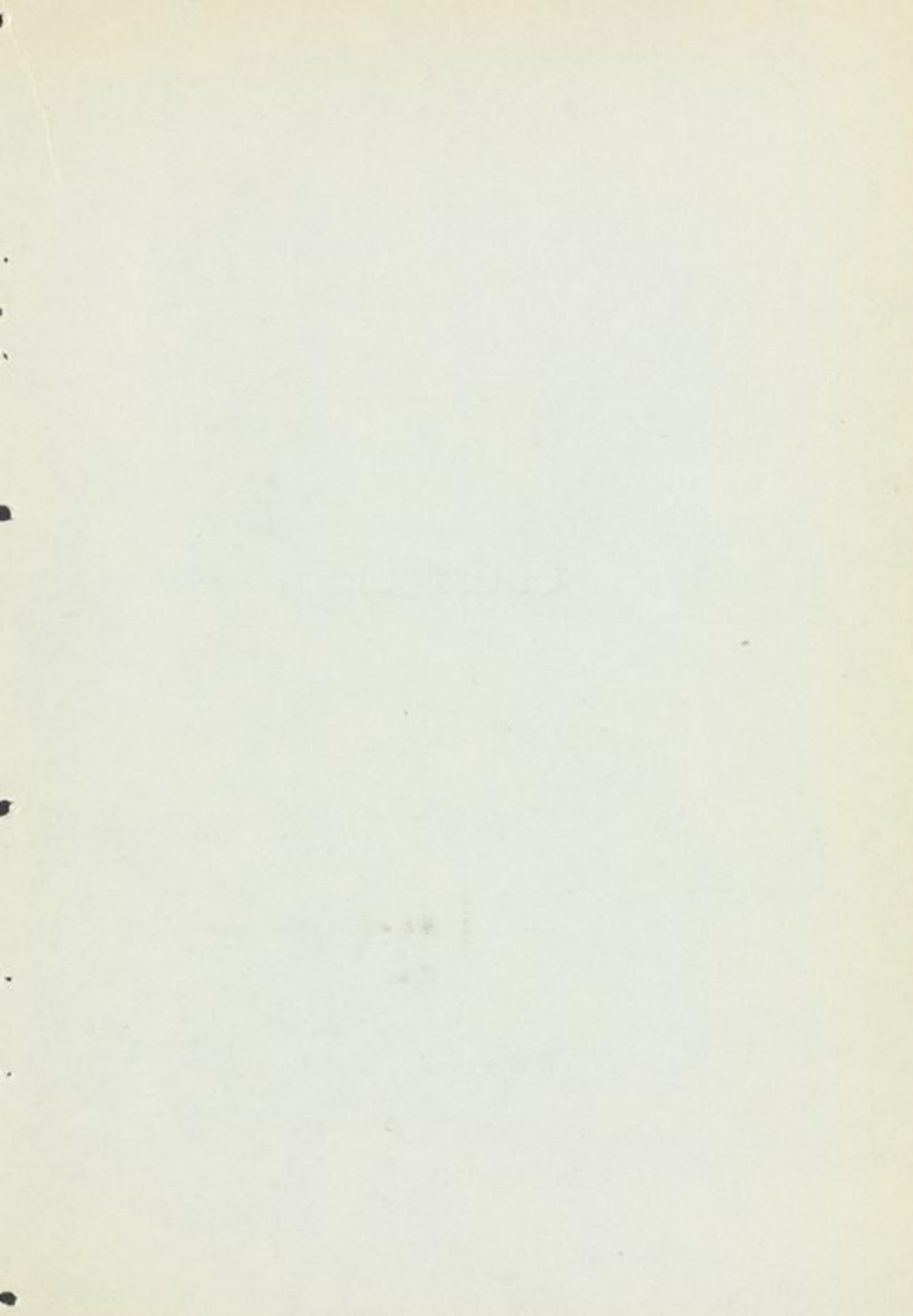
لقد كانت تلك الفوارق ولا تزال مصطنعة . وبقي الانسان انساناً ولم يتبدل . وماذا تبدل في الانسان ؟ هل يختلف الانسان الفقير عن الانسان الغني بانسانيته وكيانه وخلق الله له ؟ هل تتبدل القيمة ، أي الروح ، التي سكبها الله في المادة ؟ هل أن المفاهيم المصطنعة التي أوجدها الله في الانسان كفيلة بأن تبدل في قيمته وجوهره ؟

لقد ضاعت قيمة الانسان في المجتمع . لقد ماتت هذه القيمة لان الانسان لا يبحث عن قيمته وجوهره بل يحاول أن يتملك الوسائل التي يعتبرها الطريق أو القيمة التي تجعل منه ذاتاً اجتماعية . وهكذا فقد انحرف الانسان عن حقيقته التي وجدت فيه منذ الأزل وتعلق بخلقه ، بمفاهيمه ، بقيمه

التي جعل منها صنماً يعبده • لقد عبد المال فاعتقد أن حصوله عليه يرفعه الى مصاف الهة الوثن ، وعبد الجاه ، فاعتقد أنه بحصوله عليه يحقق قيمة الجاه • وأعتقد أن الناس لا يمجّدونه ولا يحترمونه ولا يخافونه الا اذا وصل الى المرتبة التي ينشدها •

هذه هي حضارتنا ! الحضارة التي تقوم وتعتمد على وسائلها وصفاتها الخارجية ، والمظاهر التي تتمثل بالجاه والغنى • ان حضارتنا هي حضارة عدم احترام القيمة الانسانية وعدم تقييمها • لذلك فشلت جميع أنظمة الحكم ، بما فيها الديموقراطية • ومتى كانت الحضارة قائمة على هذه الأسس فانها تموت ويموت معها الكائن الحي •

الرسالة الثامنة



أنا لم أقصد في ماسبق وكتبت أن الانسان يستطيع أن يتخلى تماماً عن المفاهيم التي ذكرتها . لقد قصدت أن يخلق فيها الانسان روح المثل . وكما أعتقد أن كل مفهوم في هذه الدنيا يحمل رأسين يتمثلان بالخير والشر ، والانسان هو الذي يختار أحديهما . لذلك تتوقف جميع الاشياء عليه وهو الذي يقر ويختار ويريد وينفذ ، ولا أحد غيره يجعل من الاشياء مفاهيم حية ، وهكذا نفهم الحرية . ان المفاهيم لاتعقل ولا تفكر ولا تريد ولا ترغب ولا تختار الناس . هي صفات مجردة من المعنى . ولا يمكن أن تحمل المعنى الا عندما يضع فيها الانسان ارادته وبالتالي حريته .

لذلك يخلق الانسان الصفات والمفاهيم فتبدو خيراً أو شراً ولا وجود للخير والشر معاً في جوهر الأشياء ، بل انهما يصحبان صيغتين بعد أن يجسد الانسان فيهما المعنى والارادة فيصبحان مفهوماً . فالمفاهيم والقيم كلها من خلق الانسان وتحمل معنى الشر ومعنى الخير لان الانسان هو الذي صاغها في هذا القالب .

ان جميع الاشياء في الطبيعة تعمل مع الانسان لاجل الخير لان الله قد خلقها خيراً . وطالما أن الله لا يخلق الا الخير ، وطالما أن الاشياء كلها وجدت في حالتها الطبيعية ، لذلك فان كل شيء هو خير في هذا الوجود . فمن أين أتى الشر ؟ انما الشر من صنع الانسان . فهو الذي يصوغ الامور ويضع لها قيما ومفاهيم ، ويختارها ويريدها وهكذا يعبر عن حريته .

وهكذا تتحول القيمة الاصلية للجوهر الى قيمة مصنعة وغير حقيقية . وتفقد الاشياء ميزاتها ومفاهيمها الاولى . ولا يبقى منها الا الصورة فقط ، ويعطيها الانسان معنى جديد يتفق وأهواؤه وميوله . والطبيعة ذاتها لم تفرق بين الاشياء ولم تكسب جوهرأ صفة أكثر مما أكسبته لجوهر آخر . وهكذا تعمل الطبيعة ، التي هي صفة من صفات الله ، على تقييم الامور كلها بالخير والبركة . وهنا تدخل الانسان فأكسب الجواهر صفات معينة تندرج من سيئ الى أسوأ ومن حسن الى أحسن . ولا يعني أن الصفات الحسنة التي أكسبها لبعض الاشياء هي حسنة ، كما لا يعني أن الصفات السيئة التي أكسبها لبعض الجواهر الاخرى هي سيئة ، بل ان تقييمه هذا كان قائماً على رغباته وميوله وشهواته أي لاعقلانيته ولا هديته .

ان المال وسيلة للتبالي لا أكثر ولا أقل وليس هو وسيلة للاحتكار والسيطرة . لذلك فقد تحول من مفهوم عادي الى صنم يعبد . ولماذا أصبح المال صنماً ؟ لقد وجد الانسان أنه يستطيع أن يحل مشاكله به فجعل منه وسيلة قوية ومباشرة في المجتمع . لقد أصبح المال المفهوم والوسيلة التي تحقق رغبات الانسان وشهواته ولا مبالاة . وبما أنه ليس مبدأ طبيعياً لذلك سيطر عليه .

هكذا تحولت القيم والمفاهيم الطبيعية الى صفات اجتماعية، فانحرفت . والانحراف تحول غير طبيعي عن المجرى الحقيقي . اذن هو من عوارض المرض . وكل انحراف هو مرض لذلك فالصفات والمفاهيم التي أوجدها الانسان كانت انحرافاً وبالتالي تحولاً عن المبادئ الطبيعية ، فأصبحت مرضاً يحاول أن يجد له الانسان الدواء .

•••••

لا تقدر الشخصية الانسانية ولا تكرم كما يجب . ونحن اذا لم نكرم الانسان ، فاننا نحترقه ونردله . وأصبحنا لانظر اليه كإنسان بل ككائن اجتماعي يحمل صفة معينة . ان هذا الانسان فلاح اذن هو أقل رتبة ودرجة وأقل قيمة من « سيده » المالك . وهذا عامل اذن هو أقل رتبة ودرجة من قيمة « سيده » رب العمل . وهذا موظف اذن هو أقل رتبة ودرجة وقيمة من « سيده » المدير أو الوزير . وهكذا تتدرج الصفات الاجتماعية ويصنف الناس وفقاً لها .

وما هو المقياس الذي نتبعه في تصنيف الناس ؟ لقد ذكرته في رسالة سابقة وأدخلت المال والجاه والمرتبة والمركز كعناصر مهمة للفروق بين الناس . ولا يعتبر هذا القياس صحيحاً لأنه لم يؤسس على قيمة الانسان . لقد ضاعت قيمة الانسان بين هذه العقائد العديدة ، وبين هذا المزيج الغريب من المفاهيم النسبية . وطالما أن المفاهيم نسبية فلا بد وأن تكون نسبيتها نسبية أيضاً . ولذلك فهي تتبدل وتتغير . وهل يمكن أن تخضع قيمة الانسان للتبدل والتغير ؟ ان قيمة الانسان أزلية لانها تمثل فكرة الله . وأما القيم الاجتماعية التي تخضع للتبدل فانها نسبية ولا تعتمد على حقيقة . وبالرغم من ذلك فان هذه المفاهيم الاجتماعية أوجدت مقاييس عديدة وأوزان مختلفة للبشر شادتها على أساس من النسبية المتبدلة . وهكذا يتقلب الانسان في جحيم خلقه وأصنامه . وهكذا فقد غرق في لجة من الاباطيل الكاذبة .

.....

وطالما ان هذا التصنيف غير طبيعي اذن هو شر . لقد خرج الانسان عن النظام الكوني الذي بواسطته رتب الله

الأشياء • لقد وضع الله الانسان « الانسان الواحد » ذات الجوهر الواحد ، ذات الصفة الواحدة ، في رأس قائمة الوجود . وأخضع الله له كل الصفات الاخرى • وهكذا جعله سيداً على الطبيعة والوجود • فالانسان سيد وليس عبداً ، عظيماً وليس حقيراً ، وخير وليس شراً ، وحاكم وليس محكوماً ، وحر وليس مقيداً • والانسان جوهر واحد وحقيقة واحدة • فكيف يستطيع أن يصنف نفسه ويضع مقاييس وأوزان متعددة؟ وكيف ينقلب من سيد الى عبد ومن حر الى مقيد ومن خير الى شر؟ ومن قام بهذا التحويل؟ أهو الله الخير؟ انه الانسان • ألا يعنى هذا أن انحرافاً وتحولاً قد طرأ على الانسان؟ وكيف طرأ هذا الانحراف؟ ومن الذي قام به؟ لم يتدخل الله في هذا لانه خلق قاعدة أبدية ونظاماً دائماً وسمدياً لا يتبدل ولا يتحول ولا ينحرف •• اذن لقد تدخل الانسان •

تدخل الانسان وعصا الارادة الالهية وثار على الشرائع الابدية وانقلب على النظام • لقد ثار الانسان ، وكانت الثورة نتيجة اللاوعي والجهل • وفي ثورته هذه قلب النظام الى فوضى والشرائع الابدية الى شرائع متبدلة ونسبية • وثار على الارادة الالهية نفسها لانه لم يدركها • فاتهم الاله بكثير من الامور وأعاد اليه كل أسباب شقائه • فكانت أعمال الانسان كلها نتيجة اللاوعي ••• وكانت ثورته ••• لقد محا الانسان الجوهر وأقام مكانه المظهر • ولذلك نراه يتخبط في مفاهيمه ومقاييسه ولا يستطيع أن يخرج من أزمته ••• لقد قضى على نفسه بالشقاء •

لقد اعتمد تصنيفه للأشياء على تبديل جوهرها • وتصنيفه الأكبر هو تصنيفه لنفسه ، للانسان • لقد حول

جوهره الى مقاييس وصفات متعددة • وأوجد له تصنيفاً جديداً .
وكيف يستطيع أن يوجد تصنيفاً لجوهر واحد ، دائم الصفات
وأبدي القيمة ؟ ألا يعني أن الانسان قد اعتدى على نفسه ؟ ألا
يعني أنه قد اعتدى على الله لأنه ثار على خلق الله وشوّهه ؟
هكذا صنف البشر ووضعهم فوق بعضهم في سلم المجتمع •••
هكذا خلق الانسان درجات للانسان ••• هكذا وجد التفريق
والتصنيف •

••••••••••

هل رأيت حضارة خلت من هذا التصنيف ؟ لقد
حملت الحضارات بذور شقائها وتعاستها واضمحلالها • ويعود
هذا كله الى سبب واحد وهو أن الحضارة لم تكرم الانسان ولم
تجعل من الناس قيمة واحدة • ولذلك وجد تفاوت كبير بين
جميع الناس فعدم مفهوم المساواة • وكيف يمكن أن توجد
المساواة طالما أن التصنيف قائم بين البشر ؟ كيف يمكن أن
نحقق قيمة الانسان في المساواة طالما أن القيمة الجوهرية
قد عدمت ؟

حاول الانسان ان يحقق المساواة بالشرائع والقوانين •
ولا تعتبر هذه الشرائع أعمالاً طبيعية ولا صفات طبيعية اذن هي
ليست من المبادئ الطبيعية الدائمة • لقد ذكرت أن الانسان قد
حرف الطبيعة فخلق شرائعه المتبدلة بدلا من الشرائع الدائمة •
فالشريعة الطبيعية لا تتبدل بينما شريعة الانسان خاضعة له •
وشريعة الكون أبدية ودائمة بينما شريعة الانسان مؤقتة •
وشريعة الوجود تقوم على جوهر واحد ولا فرق بين جوهر
وجوهر ، بينما شريعة الانسان خلقت صفات متعددة للجوهر

وأوجدت تصنيفاً مزيغاً • لذلك لم تأبه الشرائع للمساواة الحققة
بين الناس لأنها لم تبنيها على حقيقة المساواة المطلقة في الجوهر •
هكذا سادت اللامساواة بين الناس • والشارعون الذين
أرادوا أن يخففوا من شأنها بواسطة القوانين المدنية أضاعوا
فرصة ذهبية لأنهم لم يفعلوا شيئاً بهذا الخصوص • فالقانون
الذي أوجد المساواة بين الناس أوجد أيضاً حق الملكية وغيره من
الحقوق التي تبقي على عدم المساواة • وهذا تناقض ظاهر في
الشرائع البشرية • هذه الشرائع التي تحاول أن تزيل تصنيف
البشر بينما تبقي عليه في شرائع أخرى ، لا بل تزيد في حدة
ثورته وبالتالي تؤدي الى صراع عنيف • وهكذا يفسر القانون
ويشرح ويجتهد فيه وأخيراً يتبدل ليحل محله قانون آخر يعبر
عن رأي السلطة فقط • وهذا التبديل يبقي على التصنيف لأن
القانون أو الشريعة هو عمل من أعمال الانسان الذي يضع خطة
لانسان آخر •

لا يمكن أن نفسر القانون الطبيعي الا بتفسير واحد لانه
يحمل جوهرأ واحداً لا يتبدل ولا يطرأ عليه الانحراف والتحول
ولا يزول • ولذلك فان هذا القانون الذي جعل الانسان واحداً
منذ الأزل والى الأزل ، مازال قائماً لهذا اليوم • فلماذا نجد
الفروق وأنواع التصنيف بين الناس ؟ لقد خرق الانسان الطبيعة
وتحدى قوى النظام الطبيعي ولذلك نراه يتخبط في ديجور
حياته القاسية التي ملاءها بالعذاب والتعاسة • ولماذا جعل
الانسان من هذا التصنيف وسيلة لارتكاب الحماقات وأنواع
الصراع الدامي بين الفئات الاجتماعية ؟ لماذا حول الانسان حياته
الى تعاسة وشقاء بينما جعلها الله سعادة له ؟ أليس لأنه اعتدى

على النظام وحوله الى فوضى ، وجعل من الجوهر الواحد مقاييس
وأصناف عديدة لا يمكن أن تتوافق مع بعضها . . . وهكذا
تتصارع ؟

.....

ان جميع الناس متساوون . وهذه المساواة حقيقة لا لأن
القانون المدني أو الشرائع التي تتجسد في الدساتير تقرها
بل لأن الله والمبادئ الطبيعية قد أقرتها . وكيف أقرتها
المبادئ الطبيعية أو بالاحرى كيف خلق الله الانسان
جوهرأ واحداً ؟

.....

جعل الله الانسان مثالا للوجود وهكذا جعله فكرته .
فالانسان اذن هو فكرة الوجود ، وتمثل فيه أعظم صفة للوجود
وهي الحياة . فالحياة متمثلة بالانسان بأعلى صفاتها ، لذلك
يحمل الانسان صفة الحياة العليا . تتدرج الحياة من عالم
الجماد الى عالم النبات الى عالم الحيوان حتى تصل الى عالم
الانسان .

ان تجسيد الروح في الانسان دليل على أن تجسيدها في
المادة يؤدي الى المعرفة أي الى ادراك المادة . وبما أن الانسان
يمثل أعلى صفة للحياة لذلك فقد وجدت فيه جميع عناصر
الكون . لذلك حمل الانسان صفة الحياة . ولذلك كان الانسان
سيد الحياة والكون وتمثلت فيه جميع قوى الكون أي عناصره .
وتجسدت الروح في هذا الكون أي في الانسان لأنه الكون طالما
أن جميع عناصره متمثلة فيه . فالانسان هو الكون أي الوجود
أي الحياة .

.....

يمثل جميع الناس فكرة الانسان لانهم يعبرون عن جوهر واحد وصفة مطلقة للوجود ، لأن جميع عناصر الوجود متمثلة فيه . وهكذا تكون المساواة بين الناس هي المساواة في الجوهر أي في صفة الحياة الواحدة ومثالها . وأين يقف التصنيف الذي يؤدي الى اللامساواة ؟ أين تقف الحضارة التي تقوم على هذه الأسس التي لاتعبر عن حقيقة الانسان ؟ ان الحضارة التي لاتبنى على حقيقة الانسان هي حضارة زائفة .

الرسالة التاسعة

عدد الثمانية

حدثتك في رسالتي السابقة عن تصنيف البشر ، هذا التصنيف الذي يؤدي الى التفريق بينهم وبالتالي الى الامساوااتهم . لقد نشأت طبقة من الناس أو بالأحرى مجموعة منهم يعتقدون بأنهم يتميزون عن غيرهم بصفات اجتماعية • وهم يفتخرون بتلك الصفات التي تحلوها بها وخلقوها بشكل يتفوق وموقفهم من الحياة وسلوكهم في المجتمع • ويعتبرون أن من يتحلل بها هو انسان له أصالة المحتد وشرف المولد •

يؤدي هذا التصنيف الى صراع عنيف بين أبناء هذه البشرية • وتتولد عقد النقص عند الفقير وعقد العظمة عند الغني ، ويتعرض كلاهما للنقص • وهكذا تصبح البشرية مريضة في نفسها • وأنت تعلم شدة هذا المرض ووطاته • فالفقير متدمر وحاقد وناقم ، ولا يرضى بمركزه الاجتماعي لأنه ينظر الى وجوده من خلال المزايا والمفاهيم التي أوجدها التصنيف • ويجد أن تلك المزايا لا تنطبق عليه فلا يرثها ولا يورثها ، وهكذا يبقى خارج دائرة المفاهيم • ويعتقد أن الشقاء والتعاسة تخيمان عليه وهما من نصيبه • انه برم بالحياة حتى ولو كان يتظاهر بالقناعة •

أما الاغنياء فانهم صرعى عقدتهم أيضاً • انهم مرضى الكبرياء والغطرسة وحب العظمة الفارغة والسعي وراء المفاهيم التي خلقوها • وهكذا تتشكل في أعماقهم عقدة الطبقة أو عقدة الجماعة المميزة • ففي زعمهم أنهم يمتازون عن غيرهم • وأما العناصر والعوامل التي تخلق فيهم هذا الامتياز هي تلك التي

أدت الى افقار الغير • انهم يعتبرون الغني والالقاب المتوارثة من
دواعي وأسباب امتيازاتهم • وطالما أنهم يحتكرون هذه الامتيازات
فانهم جماعة مختارة •

لقد أعجبني تفكيرك كثيراً • أنت تعتقد أن الانسان يولد
في عزلة عن كل المفاهيم ، لكنه يتصف بها بعد أن يكبر وينمو ،
ويتعلق بها لأنها تصبح جزءاً منه • فهو قد تعلم أن يعيش في
وسطها ، وتعلم أن يعمل بها ، وتعلم ان يتعلق بها لأنها تمثل
وجوده وتميزه عن غيره • لقد خلق الله انساناً طبيعياً ولم تخلق
معه ميزاته • انه لم يرث صفات على الاطلاق بل انها أصبحت
مكتسبة على مر الزمن • لقد اختار أهله له اسماً كما اختاروا
نوعية حياته ومعيشته • ولذلك فقد ألصقوا فيه الصفات التي
تعتبر من أصول وجودهم الاجتماعي • ولذلك يكتسب الانسان
تلك الصفات الاجتماعية وينتمي الى المجموعة التي ولد فيها ،
ويعتبر أنه فرد منها وحامل لواءها •

لقد خلق الانسان في حالة طبيعية كغيره • فكما تشكل
الفقير في أحشاء أمه وهكذا تشكل الغني • وكما ولد هذا ولد
ذاك • والدوافع التي دفعت بوالدي الفقير هي ذاتها التي دفعت
بوالدي الغني • والفرح الذي اجتاح أهل هذا هو ذاته الذي
اجتاح أهل ذلك • وكيفية الوضع تمت لكلا الولادتين وفي
حالة واحدة •

ان ان الطبيعة لم تبخل على انسان دون انسان ولم توزع
المواهب على أحد دون آخر ، ولم تعط أسباباً للوجود وعناصر
لهذا دون ذلك • ولم تفرق بين هذا وذاك • ولم تهب انساناً
أكثر من انسان من حيث الوجود الكامل • ومع ذلك ، ومنذ

جيد أي لم تكن وليدة الطبيعة وبالتالي ليست خيراً ، لذلك يدأب الانسان أن يحصل عليها بشتى الوسائل ومختلف الاساليب . فهو لايهتم ان كذب ، اذا كان الكذب يحقق له مبتغاه . ولا يهتم أن خادع الناس اذا كان الخداع يكفل له الوصول الى الكراسي أو الى المرتبة التي يتمناها . وهو لايهتم ان باع نفسه اذا كان هذا البيع يشتري له رغبته .

لقد باع الانسان نفسه . فهو يبيع الكلام ان كان سياسياً . ويبيع نفسه عندما يطلق العنان للسانه بالوعود الكاذبة وتخدير ضمير الناس . ويبيع نفسه عندما يحدثهم بما لا يعتقد وبما لا يؤمن . ويبيع نفسه عندما يتخاذل أمام الناس ليحصل على « ارادتهم » . ويبيع نفسه عندما يخرج عن نفسه ، فيصور لهم نفسه بأنه محب وعطوف وغيور على مصلحة الناس . ويبيع نفسه عندما يصل الى الكرسي لأن الوسائل كانت كاذبة . لقد وصل . . . وهذه هي الوصولية . والوصولية هي الانتهازية لأنها استثمار واستغلال وهي استعمال الوسائل ومن ثم تبريرها . وهكذا « يصل » الانسان بوسائله التي استطاع أن يطبقها . فهو انسان يرقص الرقصة التي يطلبها الناس حتى يجذب انتباههم وينال رضاهم ، حتى اذا ماجذبهم وحصل على ما يريد فإنه يدير ظهره لهم ويبقيهم في عالم ظلمتهم . وعندئذ . . . ماذا يمكن أن يفعلوا ؟ انهم يثابرون . . . ويسيروا على ذات الطريق . فاما أن يعود اليهم بذات الاساليب أو بأساليب جديدة مختلفة ويوقع بهم مرة أخرى واما أن يعود اليهم غيره فيعمل ذات الشيء ويحصل على ذات الشيء .

لقد وصل ذلك الشخص الى مركزه وبات لايعرف أحداً .

لقد حقق هدفه ومركزه الاجتماعي بالانتهازية ، بتخدير الافكار ، بقوله انه خادم الناس ، باصراره أنه يفضل المصلحة العامة على مصلحته ، وبترديده أنه أمين على مصالح غيره . انه ينادي بكل هذا ويدعي أنه الوحيد الذي يقدر أن يحمل هذا العبء الثقيل !

ما هي ارادة الناس ؟ انها ارادة ضعيفة ومضحكة . وأين هي ارادتهم ؟ هي في سخفهم الذي أبانه لهم « راقص الجبل » هذا . وأين التمثيل الصحيح ؟ انه في كلمات منمقة وأساليب ملتوية تخدع الجمهور فيخضع ويستسلم . وهكذا يقول الشارعون أن الشعب يسلم ارادته . . . انه الاستسلام لا التسليم . . . انه الخضوع لا الارادة !

ان انسان هذه الحضارة ممثل بارع يتظاهر بما لا يبطن ، وهو قادر وعنيف لانه يخفي عن النظارة أموراً كثيرة لايسألون عنها . فهو يظهر لهم الخيال دون الحقيقة والظل دون الشخص . وماذا يمكن أن يعمل المتفرجون؟ انهم يصدقون . . . فيستسلمون ويرضخون .

ان انسان هذه الحضارة ممثل ميكافيللي عظيم وبارع . فهو يستعمل كل الوسائل لكي يفوز وينتصر ويكسب . ومتى كسب فانه يدير ظهره . واذا طالبه أحد بالعودة الى المسرح ليروه كما كانوا يرونه سابقاً ، فانه يرسل لهم وفودا تسليهم « وتلهيهم » عن واقعه وواقعهم . وهم في كل هذا لاهون ! وهو في كل هذا يلهو بكرامة الانسان التي اعتدى عليها وخذلها .

.....

ان حضارتنا هي حضارة الانتهازية والوصولية . هي الانهزامية بكل معنى الكلمة . وانسان هذه الحضارة منهزم . منهزم من الشرف ومن الضمير والوجدان والكرامة، ومنهزم من

نفسه ومن مسؤولياته • وفي القديم قيل « من مات ضميره مات وجوده ، ومن مات وجوده ماتت قيمته » • وعندئذ تندثر معالم الحضارة الحقّة لتقوم مكانها حضارة الانسان الانهزامية والوصولية •

ان حضارتنا هي حضارة الاستغلال والاستثمار • هي حضارة تخدير العقل وتوجيهه كآلة تعمل بها السلطة ماتشاء • هي التظاهر بالفضيلة والتخلي عنها • هي اعتناق المبادئ الصالحة لفترة قصيرة جداً والتخلي عنها نهائياً • هي القضاء على الغير اذا كانوا منافسين • هي المهارة التي يعتمد عليها « راقص الحبل » لكي يحبط أساليب الغير ويفوز بالغنيمة • ولذلك تحتضر قيم الحضارة •

الرسالة العاشرة

حدثتك في رسالتي الأخيرة عن الانتهازية والوصولية . وأنت تعلم أن هذا المفهوم مرض يتفشى في الحضارة ويؤدي الى انحلالها . ليس كل فرد صالحاً وكفوؤاً للحكم . ومتى عرف الناس هذه الحقيقة فان عدد من يرغب بالمناصب الكبيرة يقل . لقد قيل في القديم « من أراد أن يكون رئيساً فليكن خادماً » . وهذا صحيح الى حد بعيد . تنظر الانتهازية الى المركز دون العمل الجدي ، وتهدف الى الجاه والسلطة دون القيام بالعمل النافع والمجدي . ولذلك تنهار الحضارة وتتقوض أسسها لأن من يقومون عليها لا يطورون مفاهيم الانسان ولا يحررون غيرهم من نير الجهل والاستعباد .

عندما يعلم كل فرد أن الحكم والسلطة يرتبطان بمفهوم الخدمة ، يتراجع لأنه يقف أمام المسؤولية وجهاً لوجه . ولا يجرؤ الاشخاص أن يهدفوا الى الحكم أو يطمعوا به وذلك لأن مفهوم الحكم يصبح عملاً جباراً بالنسبة لهم ، ويبدون أمامه كالأقزام . وعندما يعلم طالب الحكم أو الجاه أو الرتبة أو السلطة أنه سيكون خادماً لغيره لا رئيساً له ، ينكمش على نفسه ويتخاذل أمام المسؤولية لأنه جبان . وقلة هم الذين يعتبرون أنفسهم كفوؤاً للحكم . وقلة هم الذين يضحون بمصلحتهم الخاصة في سبيل المصلحة العامة . وقلة هم الذين يتنازلون عن أنانيتهم وحب الذات . وقلة هم الذين يجب أن يتبوأوا المركز ويستلموا دفة الحكم .

طالما أن الرئاسة مرتبطة بالخدمة فإن عدد من يتقدم منها قليل جداً . هم الناس النادرون الذين وهبهم الله روح الخدمة والتضحية أو الذين روضوا أنفسهم على التخلي عن كثير من مفاهيمهم الذاتية . ولذلك يعتبر الرئيس خادماً لأنه يرتبط بمفهوم العمل والتضحية . وتكثر مسؤوليات هذا الرئيس لأن خدماته تكثر ، وتزداد أعماله ولذلك لا يتحمل وطأة هذه المسؤوليات الا العظيم ، والعظيم جداً .

أين يمكن أن تقف الانهزامية والوصولية ؟ انها تنهزم أمام هذه الحقيقة . فالانهزامي جبان لأنه باع نفسه واشترى ضمير الناس بثمان بخس . وعندما يقف وجهها لوجه أمام حقيقة الرئاسة والخدمة وكثرة المسؤوليات فانه يتهرب . . ويهرب

توجد مرآة ينظر فيها الانسان نفسه كما هي . فالمشوه يرى نفسه مشوهاً ، وصاحب القلب الرديء والمخادع والكاذب والمحتال والسارق يرون أنفسهم كما هم تماماً . ويرى الطيب القلب وذو النفس الكبيرة والعقل الراجح نفسه كما هو . لذلك يجب على طالب الحكم أن ينظر في مرآة الضمير ليرى نفسه قبل أن يستلم الحكم . وعندما يتأكد مما يرى فانه يقف أمام طريقين : اما ان يتراجع واما أن يستمر .

هكذا تموت الانهزامية أمام الرجال الشجعان الذين يضحون لأجل الآخرين . وهكذا يوجد الرجال الاقوياء الذين لا يخافون ولا يابهون للصعوبات والاهوال . هؤلاء الذين يقفون أمام الحقائق ويعلنونها . وينتصرون على الظلم والطغيان ، ويجهرون بأفكارهم علناً منادين بالمثل وتحقيق كرامة الانسان .

هؤلاء الذين يخدمون الناس ويضحون لأجلهم • هؤلاء الذين
اتصفوا بالكرامة والعمل لأجل اسعاد الآخرين • لقد قيل
« أعطني رجالا لكي أنافس الجبال » •

أين يمكن أن يقف المرأئي والمتخاذل أمام ضميره ووجدانه؟
وأين يمكن أن يقف الجبان الذي لا يفهم شيئاً عن عزة النفس
وكرامتها ؟ ان شخصاً لا يعرف شيئاً عن حقيقة التضحية هو
انهزامي • ان شخصاً لا يفهم واجبه في الحياة انهزامي • ان
شخصاً يتنكر بالفضيلة لكي يحقق هدفه الدنيء هو انهزامي •
ان شخصاً يقارع الظلم ويقف أمام الصعوبات ويهزأ بالموت في
سبيل الحق ويناضل لأجل الحقيقة هو شجاع وجريء ويستحق
أن يحمل اسم انسان • ان شخصاً يضحى ويخدم ويجعل من
نفسه عملاً متواصلاً لأجل الحق والخير والجمال هو عظيم •
فالعظمة هي الخدمة • وبقدر ما يكون الانسان عظيماً
بقدر ما يضحى •

•••••

هكذا تموت حضارة الانهزامي والانتهازي والوصولي لأن
جنورها لا تنبت في أرض الشجاعة والمروءة والتضحية والعمل
المجدي • وهكذا تعيش حضارة الخادم الامين والرئيس المخلص
المضحى لأن جنور شجرته تمتد في كل اتجاه • والأرض
الصالحة تنبت أشجاراً صالحة وتعطي ثماراً صالحة • والحضارة
تقوم على أيدي أولئك الذين يضحون أمام مذبح القداسة
والخدمة •

•••••

تنتابني هواجس كثيرة وأكاد أكفر بالقيم الاجتماعية •
واني ألتفت لا أرى الا الذين يعانون من مرض اجتماعي فتاك
هو السياسة •

لقد قرأت في كتب الاغريق أن السياسة كلمة تعني حسن الادارة والتدبير . فهل هي كذلك في حضارتنا ؟ لقد مر على هذا القول زمن طويل ، فهل تقدمت الانسانية أم أنها عادت الى الوراء ؟ وهل عرف الاغريق حسن الادارة والتدبير أكثر مما عرفه أقوامنا في الوقت الحاضر ؟ وهل وصلت حضارة الاغريق الى تحقيق واقع اجتماعي يقوم على مبادئ طبيعية أم أن حضارتنا لاتزال تتخبط في الفوضى ؟

.....

السياسة فن اجتماعي يهدف الى اسعاد الآخرين . أما واقعنا فإنه يظهر عكس هذه الحقيقة . انظر الى الجماعات العديدة التي تصغي الى كلمة أحد المتزعمين انظر اليهم كيف ينساقون وينقادون كالاعمى ! استمع الى أقوال « مشاهير السياسيين » وقادة البلاد في أية أمة استمع الى مناوراتهم وأحاديثهم ألا تجد بأنهم يتزلفون ، ويلوكون الكلمات ، ويمضغونها جيداً ويجترونها ويعيدونها مراراً وتكراراً حتى تغرس جيداً في ظلمات العقل البشري ؟ وشاهد الجماهير التي تأثرت بأقوال هؤلاء كيف يعودون الى منازلهم كأنهم سكارى كيف يتحدثون في المنازل وفي مراكز أعمالهم وفي الشوارع وفي الاندية والمقاهي كيف يبذون في زحمة الاقوال التي سمعوها كيف تخدروا وباتوا لا يفقهون الا ما تردد أمام مسامعهم وما ترتب في أدمغتهم وأصبح صفاً متراساً من الأقوال التي أخذت مكانها ويصعب أن تخرج منه بسهولة . واقراً الصحف التي تمدح هذا دون ذاك ، وتصور هذه المشكلة لا تلك ، وتردد ما كان قد قيل ، وتزين لك الامور بشكل باهر وعظيم ، وتضعك أمام صورة وتحاول أن تطبعها في دماغك الى

الأبد • واستمع الى المذيع ، وتفهم مايعيده ويكرره ••• ألا تدرك أنك أمام مهزلة بشرية تسمى بفن الدعاية وحسن التصوير وتخدير العقول ؟

هذه هي السياسة التي فتكت كمرض في حضارتنا نحن • هي فن الدعاية كوسيلة للوصول • اذن هي شيء من الانتهازية والمكيا فيلية • هي عمل حياكة نسيج الاقوال ووضع ألوان زاهية تبهر الانظار • هي ترديد وترديد وترديد ••• هي تخدير وتخدير وتخدير ••• هي انصياع وانصياع وانصياع ••• هي هذه الدعاية التي تمازحك وتضحكك وتسليك ، حتى اذا وقعت في أحاييلها ، تبكيك •

•••••
أصبح العلم دعاية فتجرد العلم من الحقيقة • وهكذا خضع العلم للسياسة • هذا العلم الذي يجب أن يكون وسيلة للانطلاق من عبودية الجهل ووسيلة لتحرير الانسان من كل قيد • وأصبحت الفضيلة سياسة • وأصبحت الوطنية سياسة • والعمل أصبح سياسة • وأصبحت السياسة هي المفهوم « المطلق » لكل واقع اجتماعي • وأصبحت السياسة طريق الوصول للمركز ••• اذ بدونها لا تتمكن أن تحقق شيئاً من آمالك الغافلة في أعماق لاشعورك • ومتى كانت السياسة وسيلة للوصول فهي وصولية وبالتالي انهزامية لأنها اتخذت من كل فضيلة وعمل قومي أو اجتماعي أو أخلاقي أو فكري وسيلة لتحقيق مأرب • انها اذن فن الوصول •

•••••
لا يمكن لامة أن تتقدم الا اذا كان رؤساؤها هم خدمها • ولا يمكن أن يطرأ أي تحسن على مجتمع الا اذا كانت السياسة

تعني فن الادارة وحسن التدبير ، وبالتالي حسن النية لأجل عمل عظيم ومنتج . ولا يمكن لرؤساء الأمة أن يأخذوا بيدها الى الامام الا اذا تفهموا معنى المسؤولية وعرفوا انهم يضحون لاجل الآخرين . ولا يمكن لمجتمع أن يسير على طريق التقدم الا اذا كان رؤساؤه رجالا تجردوا من كل أنانية وتعالوا على سفاسف الأمور .

لا تقوم أمة على السياسة بل تقوم على حسن الادارة . والحضارة نتاج هذا العمل . ولا يمكن أن تكون حضارة الانسان حضارة القلة الذين يحكمون . . . لأن هؤلاء يرضخون لأهوائهم السياسية وبالتالي تكون حضارتهم نتاج عملهم ومفاهيمهم الخاصة . وما هو هذا النتاج ؟ هو حضارة الذات التي تتعلق بأهوائها وتنطلق منها ، وتخضع لميولها ومصالحها ولاوعيا ، وتتركز في المفهوم السياسي .

لا تقوم حضارة على السياسة طالما أنها فن الوصول ووسيلة لتحقيق الاهداف الشخصية . ولا تقوم حضارة الا على أساس الخدمة الواقعية للحكام الذين يتحملون مسؤوليات كبيرة لايتحملها الا القوي جداً والشجاع كثيراً والمقدام والبطل الحقيقي المترفع عن الانانية والمتعالي على الذات . . . انهاحضارة الشجاع أدبياً والقوي معنوياً . . . انهاحضارة الحق .

.....

لقد سميت الفلسفة الاغريقية لان فلاسفتها تحدثوا عن المثال . وتحدث سقراط ، من بين فلاسفة الاغريق ، عن صفات الحاكم . لقد قال ان الحاكم يجب أن يكون فيلسوفاً .

ماهي الفلسفة ؟ هي محبة الحكمة . ومن هو الفيلسوف؟ هو محب الحكمة . ومن هو محب الحكمة ؟ هو الانسان الذي

يقلب شهواته ويحولها الى فضائل . تتحول شهوة الكذب الى الصدق ،
والبغض الى محبة ، وحب الذات الى التضحية ، والنميمة والغيبة
الى شجاعة أدبية ، والانحطاط في الميول الى التسامي والتعالي ،
والجبين الى شجاعة . ألا توافق أن الفلسفة هي رائد الانسان
والحاكم ؟

وماذا قصد سقراط عندما جعل الحاكم فيلسوفاً ؟ ان
هذا الفيلسوف يترفع عن الأنانية ولذلك لا يحكم لأجل نفسه
بل لأجل الآخرين . انه يترفع عن الكذب ويقول الصدق ،
وهكذا لا يتوخى الربح والكسب لنفسه بل يعمل لأجل الآخرين .
انه لا يبغض أحداً لأن مصلحته لا تصطدم مع مصلحة الآخرين ،
ولذلك فهو انسان محب وعطوف وشفوق ويعامل الجميع
كاخوة له . انه لا يهتم لذاته لانه لا يبحث عن غنى ولا يعمل
لأجل اقتناء ثروة أو منزل ولا يسعى وراء الجاه ، وهكذا يضحى
الفيلسوف . انه لا يفتاب أحداً ولا يتكلم بعداوة أحد ولا يستعمل
النميمة كسلاح لاثارة الانسان على الانسان . وهو يمتدح أخلاق
الغير ولا يذم أحداً . وهكذا يعمل الفيلسوف لأجل الآخرين .
انه لا يحط من قدر انسان بل يعمل على رفع مستواه ، ولذلك
يتخذ من الحكمة سلاحاً لكي يحقق العدالة والمساواة ، ويهذب
الغير ، ويضع في قلوبهم روح البناء والفضيلة . وهذا الفيلسوف
لا يهدم بل يبني ، لا يقضي على غيره بل يحاول أن يخلق منه
انساناً فاضلاً وناقماً للمجتمع . ان هذا الفيلسوف يجب أن
يكون على رأس الأمة لأنه عقلها ، ولأن الأمة بحاجة ماسة اليه .

.....

هل أدركت كيف أن الرئيس هو الخادم ؟ ان صفات هذا
الفيلسوف لتتنطبق على الخادم المطيع ، الحاكم المتواضع ، الرئيس

البيسط ، السيد صاحب القلب الصالح والعقل النير ، المضحي
في سبيل الآخرين •

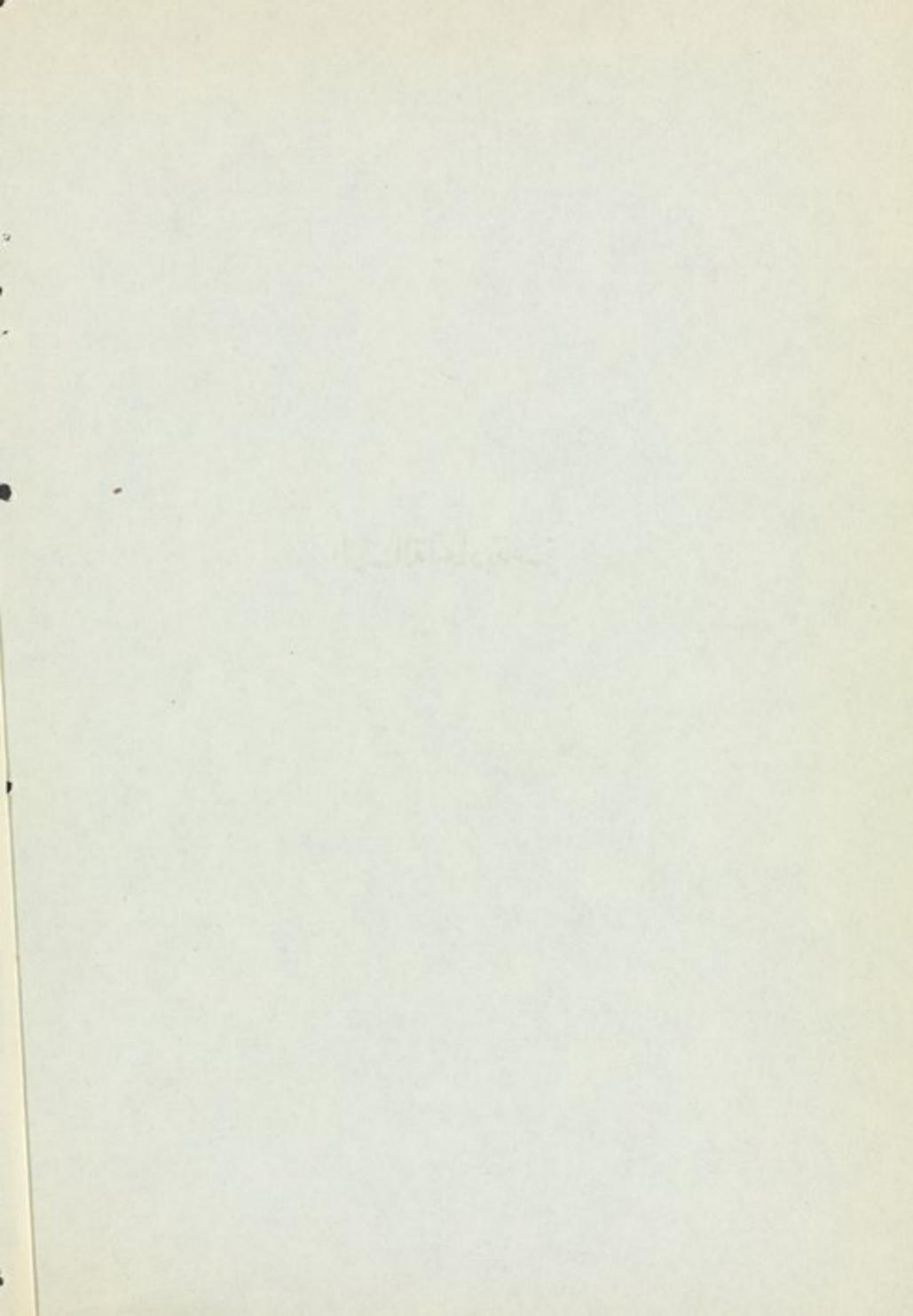
الحضارة تقوم على الرئيس الخادم ، الرئيس الفيلسوف •
ولا تقوم على المتوارين خلف جدران الفضيلة والمتظاهرين بالنبل
والكرامة والاستقامة • انها لا تقوم على مظاهر المجتمع وعلى
السياسة التي تؤدي الى الانهزامية •

ان السياسة مرض ، وقد انتشر في نفوس وقلوب شبابنا
ورجالنا ونسائنا وشيوخنا وأطفالنا أيضاً • انها مرض الحضارة
لأنها لاتوجه قوى الأمة الى السكينة والهدوء بل الى الفوضى
والثورة والجموح وجيشان العواطف •

•••••

تكن الحضارة في قلب الانسان الشجاع الذي تتمثل فيه
الحكمة وتبرز فيه الفضائل • انها تكن في الانسان الذي يخدم
مجتمعة بوسيلة حققة ، هي الخدمة التي لامقابل لها • انها
تكن في الرئيس الذي يعمل بصمت ، فتزدهر البلاد
ويسعد الناس •

الرسالة الحادية عشرة



ركزت في رسالتي السابقة على مسألة التضحية التي
تتبلور في خدمة المجتمع وتوجه قوى الأفراد الى الخير العام .
فالتضحية والخدمة تتجلى في القدرة على العمل بقهر الانانية
والمصلحة الفردية . وعندئذ تنتصر الحضارة على كل أمراضها
ومن بينها السياسة والانتهازية . وتجعل من الارادة الحسنة
موضوعاً جديداً لحضارة الانسان المتفوق والحر .

.....

بدت ظاهرة جديدة في المجتمع ، أحسست بها وتلمستها
وشعرتها في كل مراحل النشاط الاجتماعي . وهذه الظاهرة
غريبة حقاً ٠٠٠٠ هي تجرد الانساد من الرأفة والشفقة والعطف
والحنو . هذه الظاهرة هي العنف .

لقد تكلم غاندي عن اللاعنف ومن بعده تحدث فينوبا .
وامتلات الديانة البوذية بهذه القيمة العظيمة . لقد دعا بوذا الى
الفضيلة . وهكذا فقد دعا الى كل وسيلة تقرب الانسان من
النرفانا أي الخلود في العدم . لقد فتش بوذا عن الحقيقة
فوجدتها في السكينة ، سكينة القلب والروح والعقل ، في راحة
الانسان . وتقرب هذه السكينة الانسان من الله لأنها تبعده
عن مزايا هذا العالم وتقضي على ثورة أعصابه وجموحه الدائم
وانفعالاته ، وهذه كلها تتمثل في مفهوم اللاعنف . وهكذا
يستسلم الكائن الحي لهذا الهدوء الداخلي ، لهذا السلام
الحقيقي الذي لاتزعجه أو تؤثر فيه الفوضى ، فيحيا في عالم
السكينة .

لقد تكلم غاندي ، وهو الفكر المنير في القرن العشرين ،
عن مبدأ اللاعنف • انه ربط بين هذا المبدأ وبين مبدأ البحث
عن الحقيقة • ان محب الحقيقة لا يعتمد على العنف كوسيلة
لحل مشاكله • ان محب الحقيقة يفتش عن الحقيقة فقط •
ويحافظ هذا الباحث بوسائل تحقيقها • فالهدوء النفسي
والتفوق على الشر والانصياع لنداء الوجدان والضمير ، وتحقيق
القوى الروحية وتفضيلها على القوى المادية ومقابلة الشر بالخير،
والتسامح مع الناس ، وغفران سيئاتهم ، كلها عوامل تساعد
الباحث عن الحقيقة أن يصل الى هدفه •

ان مقابلة الشر بالخير والانتصار على سيئات الغير
رمسامتهم تعبر عن قيمة اللاعنف • وعندما يسامح الانسان
غيره يبعد عامل العنف والقساوة والظلم • وعندما يقابل شر
الآخرين بالخير فانه يحقق طاقاته الروحية • ولذلك ربط غاندي
بين مبدأ اللاعنف ومبدأ البحث عن الحقيقة • ومن الصعب أن
يكون الانسان الحاقدا الناقم والمتذمر والكاذب باحثا عن
الحقيقة • ومن المستحيل أن يكون من يسعى وراء شهواته
ويستسلم لانفعالاته باحثاً عن الحقيقة • ومن الصعب أن يكون
المسيء أو من يرد الاساءة بالاساءة باحثاً عن الحقيقة • لذلك
جعل غاندي من يعتنق مبدأ اللاعنف باحثاً عن الحقيقة • فالروح
لا تستطيع أن تحقق امكاناتها وطاقاتها الا في جو تسوده المحبة
والسلام الحقيقي والسكينة ، ولا تستطيع الروح أن تتغلب على
الشُرور المحيطة بها الا اذا انتصرت على الحقد والبغض والكبرياء
والنميمة والكذب والعنف والظلم والسير وراء الشهوات • لذلك
كان مبدأ اللاعنف مكملا للبحث عن الحقيقة •

•••••

لقد قاد غاندي أمة بأكملها الى تحقيق استقلالها دون أن

تسفك دماء بريئة • وغاندي هذا ، لم يصبح بطلاً هندياً بل أصبح بطلاً إنسانياً تناجيه القلوب الظائمة للهدوء والسكينة والفضيلة والبحث عن الحقيقة • ان غاندي ، عقل الانسانية النير وقلبها النابض وروحها المتعالية السامية ، يقدم لنا أمثلة عظيمة عندما يعلم اللاعنف •

لقد تأثر غاندي بمفكر انكليزي هو رسكن • كان رسكن هذا انساناً تكلم عن اللاعنف وانتقد مظاهر الانسان كما انتقد الانسان الذي يقضي حياته مفتشاً عن اللذة لاعتن السعادة ، وساءياً وراء الثياب الفاخرة بينما لايعبأ بالحقيقة وينسى واجبه الانساني •

•••••

التفت الآن الى حضارتنا ••• حضارة العنف • ما هو هذا العنف ؟ انه الوسيلة التي تعتمد على القوة لحل المشكلات المعلقة • وهل أن الحل الذي يقدمه العنف صحيحاً ؟ هل استطاعت الثورات الدموية أن تحول مجرى الصراع في التاريخ؟ هل استطاع الانسان القوي في جسده والذي يعتمد على العنف أن يحل مشاكله ؟

انني أسائل نفسي : كيف ومن أين أتت مشاكل الانسان؟ لقد وجدت هذه المشاكل بسبب طمع الانسان وجشعه ، لكثرة مطالبه ، لأنانيته وذاتيته ، لكبريائه وانقياده لشهواته • فالانسان المشاكس يخلق المشاكل ، والانسان الذي لا يحقق فضيلة يخلق المشاكل • وطالما أن مشكلة الانسان تنبثق عن هذه المصادر لذلك يبقى في مشاكل متعددة تتلو بعضها بشكل متصل • واذا بقي الانسان عبداً لذاته فان مشاكله تبقى •

ان مشاكل هذا الانسان بحاجة الى حل . فما هي
الوسيلة ؟ تنحصر وسيلته في مفهومين ٠٠٠ اما أن يعتمد على
الخداع والتهرب وهكذا يخفف من وطأة مشكلته ولا يقع في
المازق ، لكنه لا يحل مشكلته أبدا ، واما أن يعتمد على العنف
كحل . وهكذا كان العنف وسيلة لحل مشكلة الانسان المعقدة.
وهذا العنف لا يعتبر وسيلة لحل مسألة شريفة ونبيلة بل هو
خلاص الانسان من مشكلته الخاصة . فاذا ماتخلص منها بهذه
الوسيلة فلا بد وان يقع في مشكلة أخرى . وهكذا يدور الانسان
في هذا الفراغ الدائم ٠٠ وينتحر قلب الانسان لقساوته ، وتعمى
بصيرته لانه لا يرى الا السبل المؤذية لحل المشكلة ، ويصبح
عبداً لانفعالاته الشخصية ٠٠٠ والحل ٠٠٠ أين هو الحل ؟ ٠٠
انه في العنف !

.....

التفت الآن الى حضارة اللاعنف . هل يؤدي اللاعنف الى
اثارة الأزمات عند الانسان ؟ ان الانسان المحب لا يستطيع أن
يكره غيره ، فينسى كل سيئة ، ويقابل الشر بالخير ، وهكذا
يستحيل أن يوجد عنف في عالم المحبة . وطالما أن لا مشكلة
هناك اذن لاعنف هناك . فاللاعنف هو نتيجة حتمية ومنطقية
لحقيقة الانسان ، لخيرته ، ولمسيره في طريق الحق ، ولتطبيق
مبادئ الكون التي لا تتبدل .

يثبت اللاعنف الشرائع الطبيعية لأنه ينبثق عن روح
الانسان ونفسه الخيرة . فالنظام الذي يسود الكون ثابت
ولا يتبدل ويعبر عن جوهر وعن حقيقة . والنظام خير لأنه
يؤدي الى المزيد من التنظيم والى النتائج التي يترقبها الانسان
ويعتقد أنها مفيدة له . فالحياة هي وليدة فكرة أزلية محبة

وخيرة وصدوقة ومنظمة وقائمة بحد ذاتها • هذه الحياة هي خير اذن • واذا ما اعتري الحياة عامل الفوضى فانها تقع في مازق • وعامل الفوضى هذا لا ينبثق عن الكون ذاته لانه لا يحمل فكرة الفوضى ، لذلك كان عاملاً خارجياً صدر عن الانسان • وهكذا تقع الازمات والمشاكل بسبب هذه الفوضى • وتتعلق هذه كلها بالعنف كمخلص ، لكنه يزيد الحياة سوءاً وشرأ • واذا كان العنف يؤدي الى الشر فانه يؤدي الى الاضطراب والشقاء •

ان اللاعنف هو المبدأ الروحي والعقلي الذي يسود الكون والحياة لانه مبدأ تحقيق طاقات الانسان ورفعته الى الاعلى • ونحن لانستطيع أن نتصور أن العقل البشري يعمل بهدوئه ونظامه اذا اعترته الفوضى والعنف • فالأعصاب النائرة لاتصمد أمام الحقيقة ، وفي ثورتها هذه لاتفقه شيئاً من الموضوع • فلا يمكن أن تنفق الثورة مع السكينة • وهكذا يخرج العقل عن دائرة حقيقته في حالة الثورة والانفعال • وللثورة هذه هي ثورة اللاوعي • وهكذا ينعدم النظام وتسود الفوضى بسبب العنف أو الثورة التي تسلطت على قوى النظام • فاللاعنف اذن ، هو المرحلة الأخيرة من الهدوء النفسي وهو الطريق الذي يؤدي الى تحقيق الفضيلة والبحث عن الحقيقة •

•••••

لاستطيع أن تعلم بواسطة العنف ، ولا تستطيع أن تكون مثالا يحتذى به •

لاستطيع أن تكون مرشداً بواسطة العنف ولا تستطيع أن تضحى •

لا تستطيع أن تقود الناس الى الخير بواسطة العنف ولا تستطيع أن تحقق الفضيلة •

لا تستطيع أن تنادي بالخير والعنف معاً •
 لا تستطيع أن تغفر بالعنف ولا تستطيع أن تسامح •
 لا تستطيع أن تعلق وتسمو بالعنف ولا تستطيع أن تتواضع •
 لا تستطيع أن تبحث عن الحقيقة بالعنف ولا تستطيع أن
 تقترب من الله •

المحبة واعية وتتراف وتحنو اذن هي لاعنف •
 الفضيلة معنوية ورمزية وروحية ولا تحقق الا باللاعنف •
 التعليم هو سكب الروح النير بروح الغير ، اذن هو لاعنف •
 ارشاد الناس الى الخير والصلاح يمثل حقيقة اللاعنف •
 التسامح والغفران لاعنف لانه يخرج من القلب الصادق •
 السمو والتعالي هو امكانية الانسان وقدرته ان ينتصر
 على نزواته وشهواته ، وهكذا هو لاعنف • وهكذا يتمخض
 اللاعنف فيلد الفضيلة ويعطي المحبة والخير •

••••••••••

ان حضارتنا ملأى بالعنف • فالسجون رمز للعنف لأنها
 تخلق شعوراً بضياح العدالة والحق ، وتؤدي الى الاحساس بأن
 البشرية قد فقدت وسيلة لتربية الناس وتهذيبهم وتحسين
 احوالهم المعنوية والخلقية والمادية • والمحاكم رمز تختلط فيه
 العدالة بالظلم ، القسوة بالرحمة ، الشفقة بالسيطرة ، الحقيقة
 بالباطل • هي رمز لا يتمثل فيه مفهوم العدالة ولا يتحقق فيه
 لأنه ينسجم مع الظلم والقسوة • والقانون رمز للقوة كما أنه
 رمز للحق الاجتماعي • ولا يمكن أن يختلط الحق بالقوة •

هكذا يقف الانسان في وسط هذا التيار الجارف من العدالة
 واللاعادلة ، المساواة واللامساواة ، الحق والظلم ، النور
 والظلام ، الرحمة والقسوة ، تبرير العقاب وعدم تبريره •

ويخاف الانسان . . . يخاف من القوانين والسجون ، ومن كل شيء يتمثل فيه العنف . فالعنف مشكلة الانسان . فهو يحل مشكلته به فيجد ان مشكلة أخرى قد نبعت . وهكذا يؤدي العنف الى الخوف . . . الخوف من مجهول يلاحقه ويطارده . . . تلاحقه العدالة . . . فكيف يخاف منها ؟ انها تحمل طابع العنف . . . تلاحقه القوانين التي خلقتها السلطة لأجل النظام الاجتماعي والحفاظ على ذاتها ، فيخاف منها لأنها تحمل طابع العنف . . . تلاحقه الدولة لانه لا يوافق على آرائها وأعمالها السياسية فيخاف لأن المطاردة عنف . تلاحقه أفكاره ، حتى في أحلامه ، لانه يعلم ان هو أباح بها ، فان العنف سيطارده . يصمت ويسكت ، ولا يبوح بما يفكر لأحد ، لأن العنف يقف على باب داره . يتحمل العذاب النفسي خوفاً من العنف . . . العنف موجود على أبوابنا ، وفي منازلنا ، وفي شوارعنا ، وفي مؤسساتنا ، وفي قلوبنا وفي كتبنا . انه موجود في مؤسسات الاصلاح ، فالاصلاح والعدالة والقانون ، كلها تحمل طابع العنف .

يعيش الانسان في عالم من العنف . فيسوده الخوف وسيطر عليه ويقضي على معنوياته ويحول طاقاته أو يخمدها . ولذلك يعيش الانسان على هامش الحياة . فتختلط عليه المفاهيم وتمتزج لدرجة يتعذر عليه أن يفرق بينها . وما هي الحدود القائمة بين العنف واللاعنف طالما أنها تنبع من نبع واحد ؟ الا ينفي الواحد الآخر ؟ اذن يجب أن ننفي العنف لكي نحقق اللاعنف .

ان تاريخ البشرية هو تاريخ العنف . . . تاريخ الصراع المتمثل بالجهاد الدائم في سبيل تحقيق الذات . هذا هو تاريخ الانسان الذي يمتلىء دماً فيفيض ، يمتلىء ثورة فتؤدي للقتل

والدمار ، يمتليء بالحقد فيهدم ولا يبني ، يمتليء بالآزمات فيبدل
الأوضاع من شكل الى شكل ، وليس من حسن الى أحسن •

لقد طغى العنف على الحرية فجمدها في مهدها ولذلك
لا تنمو ولا تتطور • لقد طغى العنف على الاستقلال فحول الامم
الى حلبة صراع دائم • لقد حول العنف الأرض الى مكان ينازل
فيه القوي الضعيف فيغلبه • وهكذا تموت الفضيلة •

ان حضارتنا تحمل طابع العنف ، لذلك هي مهددة
بالانفجار ••• انها تتفجر كل دقيقة لانها لم تستطع أن تحقق
الهدف الذي من أجله وجد الانسان • ولقد قيل في القديم « من
يأخذ بالسيف ، بالسيف يؤخذ » •

الرسالة الثانية عشرة

يحتل اللاعنف مركزاً مهماً في نفسي • وكم أود أن تأخذ به كل الفئات الحاكمة والمحكومة • وأنا أعتبر هذا المبدأ مهماً جداً عندما تعتمد عليه الفئات التي تطالب بحقوقها وباستقلالها. ويمكن تطبيقه الآن في الولايات المتحدة الأمريكية • يحق للزنج أن يجعلوا من حركتهم حركة اللاعنف • انهم لا يستطيعون أن يحققوا مطالبهم قبل مضي مدة طويلة أي الى أن يصل الناس في تلك البلاد الى مستوى عال من الانسانية والوجدان ••• أما الآن فيمكنهم أن يعتمدوا على هذا المبدأ الفعال •

يشن شعب افريقيا الجنوبية من مشكلة التفريق العنصري، هذا المبدأ المنحط • ويستطيع هذا الشعب ان يحصل على استقلاله بواسطة مبدأ اللاعنف • فاذا ما ضرب العمال في المناجم وقاموا بحركة عصيان سلمية ، فان المعامل تتوقف ولا تنتج المناجم • وهكذا يستطيع أهل افريقيا الجنوبية ان يشلوا الحركة الاقتصادية العامة اذا اعتمدوا على مبدأ اللاعنف •

يستطيع كل شعب في كل أقطار العالم أن يتمسك بهذا المبدأ ويعلنه جهاراً • هناك فئات مضطهدة داخل بلادها بسبب الدكتاتورية العنيفة التي تعتقد أنها تعمل لأجل هدف في المستقبل • تباً لاهداف المستقبل ! هل يموت الانسان لأجل المستقبل ؟ هل يموت لأجل تحسين معيشتة ببضع دريهمات ؟ ان حياة الانسان هي حياته الحاضرة • حياته هذه التي يجب أن تكمل وجوده الذي وجد ليحققه ••• وهكذا يجب أن لا يكبل الانسان بقيود زائفة لأجل تحقيق هدف ذاتي مر في دماغ أحد

« أصحاب العقائد » المرضى • ان حرية الانسان لا يمكن أن تتوقف على الاحزاب وعقائدها •

.....

شئت أن أبحث في رسالتي هذه أنواع العقائد وكيف أنها تؤدي الى صراع الانسان مع الانسان • توجد أنواع متعددة من المبادئ والاحزاب والمفاهيم التي شادها الانسان وتبلورت بصيغ ومقاييس معينة • وتحاول كل عقيدة أن تحل مشكلة الانسان بوسائلها الخاصة • فأصبحت مشكلة الانسان متعددة بسبب تعدد الحلول والآراء • فالحرية تعني مفاهيم مختلفة نسبة لكل مفهوم وكل عقيدة • والتنظيم الاجتماعي يعني حلولاً مختلفة ويقصد منه وضع خطط تختلف الواحدة منها عن الأخرى • لقد جزأت هذه المعتقدات المشكلة الانسانية • وهكذا يعيش ضمير الانسان في صراع وجداني عنيف •

الى أية عقيدة يجب أن أنتمي ؟ ماهي العقيدة الفضلى التي يجب أن أعتنقها ؟

هنا يبدأ الصراع الداخلي • واذا ما قدفتني « الصدف » الى قراءة آراء حزب معينة فلا بد أن أنتمي اليه • وهكذا أقضي على حرية فكري • ان اعتناقي لأي مذهب يشكل حركة دماغية وقلبية في ذلك الاتجاه • انني أرتبط عندئذ بمصير معين • فأموت في جهلي وتعصبي هذا • وأميت غيري لأنني أعتقد بأن عقيدتي يجب أن تحتل المركز الرئيسي • فأصبح متعلقاً بهدف معين أنظر اليه من خلال زاويتي الخاصة ولا أدري غيره ••• وهنا تبدو الانانية •

ان « الاعتقادية الحزبية » ضرب من سيطرة الذات أي المادة في لاوعيتها • هي تعلق الانسان بمشكلة معينة اذ يحاول أن يخطط ويضع المقاييس لهذا العالم أو لغيره • ويعتقد

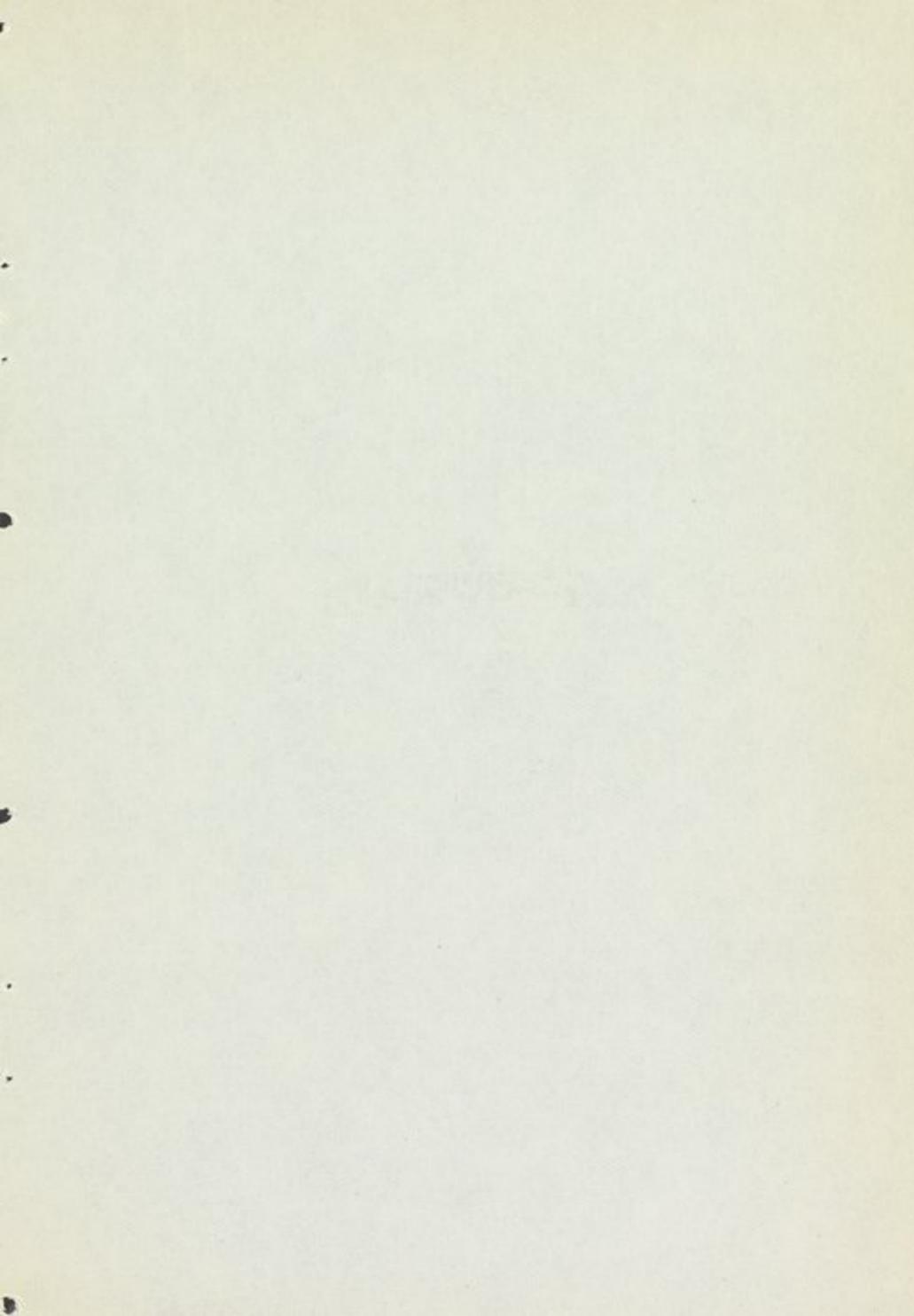
« أصحاب الحلول » بأنهم واسطة لتخليص المجتمع من كل مشكلة . ألا يعتقد كل ذي مبدأ بهذا ؟

ان « الاعتقادية » تقضي على حرية الفكر . فكما ان عالم الكيمياء ، وهو انسان يعرف ، يجهل الكثير عن الحياة ، كذلك فان عالم الرياضيات ، وهو انسان يعرف ، يجهل الكثير أيضا . وكذلك عالم الفيزياء ، مع أنه انسان يعرف ، يجهل الكثير . ولكن هؤلاء جميعاً لا يتناحرون بل يحاولون أن يكملوا بعضهم بعضاً . انهم لا يعملون في عالم تسوده الأنانية وتفضيل شيء على شيء آخر . انهم يعملون في عالم الحقيقة ، في عالم الشرائع الطبيعية ، في عالم يسوده النظام ، في عالم المبادئ الأزلية والسرمدية .

أما أصحاب المبادئ والشرائع المتعددة ، أصحاب المعتقدات الحزبية والآراء السياسية الجوفاء ، فانهم يعملون في عالم الذات التي تقوم على الصراع . انهم لا يعملون في الحقيقة ولأجلها ، ولا يعملون في مبدأ دائم لا يتبدل ، ولا يعملون في الكون وفي وجود الانسان ، وهم لا يفهمون حقيقة الانسان ووجوده وكيانه . انهم يعملون في المفاهيم الاجتماعية المتعددة ، ويقىمون مفاهيمهم على تناقضات التاريخ والصراع . وهكذا فان ديالكتيك هذا الصراع عنيف لأن جميع المفاهيم تقضي على بعضها وتناقض بعضها . وهكذا يبنى الانسان آراءه على تناقضات جوفاء تموت وتميت ، تصارع غيرها ويصارعها الغير ، تقضي على غيرها ويقضي عليها الغير ، تناقض بعضها ، وتستمد جنورها من لا وعي الانسان وجهله ودوافعه وانفعالاته وهو اجسه المتعددة التي لا يبررها الوجود بأي شكل من الأشكال ، وذلك لأن الوجود يقوم على نظام دائم وحقيقة لا تتبدل .

ان « العقائدية » هي التي تؤدي الى العنف وبالتالي الى

الرسالة الثالثة عشرة



أنا لا أدري ان كنت توافقني على كل ماذكرته في رسائلي السابقة • ان رسائلك أصبحت متقطعة وقليلة • ومن جهتي ، لا أجد مبررا للانقطاع طالما أعتقد أنني أقوم بواجبي أو أنني أعبّر عن حرية فكري •

•••••

ذكرت أن « العقائدية » سببت تناحرا على المفاهيم الاجتماعية لأنها جمدت الفكر والعقل • لقد وجهت الناس الى مسائل تتعلق فيها فقط ، وأصبحت الاخلاق شيئا من العقائدية التي تدمر وتحطم كل القيم الأخرى • ويصعب علينا أن نبحث في موضوع الاخلاق طالما أنها ربطت بالعقائدية • لقد قضي على الاخلاق كمثال لوجود الانسان الوجداني • وتحول هذا المثال الى موضوع اجتماعي يتصل بالعقائدية ويعترف بأركانها • وهكذا وجدت الاخلاق الاجتماعية • وهكذا فرضت هذه القيم وجودها •

اعتبرت أن العقائدية هي نتيجة التناحر والصراع الذي قام بين الانسان ونفسه ، بينه وبين الغير ، وبين الفئات التي تشكلت وقامت ضد بعضها • ويعود هذا الى أن الانسان خلق الشرائع التي لم تنبثق عن الطبيعة ولم تكن صدى أو مثالا للمبادئ الكونية الثابتة • لقد خلق الانسان •• خلق شرائعه ••• خلق قوانينه ونظمه ••• وحافظ عليها ••• حافظ عليها بالعنف ••• وكان العنف وسيلة القوي ••• وسيلة المسيطر من بين البشر ••• فاذا ما اعترى الضعف ذلك القوي ، فان

الجماعات الاخرى ترتفع وتثور . . . وتستعمل ذات الوسيلة . . . وهكذا تصبغ الحضارة صراعا بين الناس ، صراعا يعتمد على العنف كوسيلة لظهار وتثبيت الذات .

.....

وجدت معظم القوانين كنتيجة للاحداث الاجتماعية .
لذلك تعتبر القوانين « عملا اضطراريا » . وتدين هذه القوانين كل من لا ينصاع لها أو كل من يخرق مبادئها . ويعتبر من يخرقها مجرماً .

المجرم هو ذلك الانسان الذي يخرق القانون أو بالاحرى هو من يقوم ضد المفاهيم الاجتماعية المثلثة بالسلطة . هل سمعت بسارق ؟ لقد سرق انسانا فزج به في السجن بعد محاكمته . لقد برهن القانون الممثل بالقاضي انه سارق . . . لقد عاقبه القانون وفرض عليه الجزاء . هل سمعت بمجرم ؟ انه أجرم ضد السلطة أو قتل شخصاً أو ضربه أو أهانه . . . عاقبته العدالة وفرضت عليه جزاء . وهكذا يعمل المجتمع « بعدالته القانونية » . . . ويرسل هذا أو ذاك الى السجن لمجرد العقاب .

وما هو العقاب ؟ أليس هو شيئاً من العنف ؟ ألا يتمثل العنف به ؟ فكيف يمكن تطبيق العدالة بالعنف ؟ ومن هو الذي يطبقها ؟ ألا يمكن لمن يطبقها أن يدان بها ؟ القوة ، العنف ، السيطرة ، القانون . . . صفات قائمة بحد ذاتها . . . ويعتمد المجتمع عليها لأنه أقام مؤسساته عليها . لقد أقامت العدالة مؤسستها على الصيغة الاجتماعية التي وضعت بها ، ولذلك تطبق على كل شخص لايسير ويعمل وفق القانون .

هل سمعت بسارق أو بمجرم غير هذين اللذين ذكرتهما ؟

أنا متأكد أن البشر لا يعرفون غير هذين النوعين ! ان الرعية لا تعرف الا التأكيد على القانون والتشبيث به لأن القانون هو ارادة السلطة ارادة القوة التي تطبقها كسلطة . . . ان الناس يطالبون بعدالة السلطة لأنهم يخضعون لها . . . فتكون العدالة عبودية لهم .

.....

هل سمعت بمجرم أو بسارق غير هذين ؟ هناك مجرم وسارق أكثر حجارة منهما .

من هو المجرم ؟ هل هو ذلك الانسان الذي سرق قطعة من أثاث أو كمية من مال أو عقداً من الماس ؟ من هو المجرم ؟ هل هو ذلك الجائع الذي نغم على المجتمع ، على الانسان ، فاضطر أن يدخل مطبخ منزل الغني وسرق ؟ هل هو ذلك الانسان الذي مد يده الى جيوب غيره من الناس واختطف قطعة من الدراهم ؟ هل هو ذلك الانسان الذي قتل غيره ؟ هل هو ذلك الذي أهان غيره ؟ هل هو ذلك الذي هدد وتوعد ونفذ ؟ من هو المجرم ؟ هل هو ذلك الانسان الذي ينتقد المجتمع ويتكلم عنه بتذمر ونقمة ؟

ان هؤلاء الناس « مذنبون » لامجرمون . والمذنب لايعتبر مجرمًا . وهؤلاء يجب أن نهذبهم ونرفعهم الى سوية الناس . هؤلاء يجب أن نعلمهم حقيقة الحياة واذا كان لابد من العقاب فانما يجب أن يعاقبوا لكي يتحسنوا ولينتصروا على دوافعهم وميولهم اللاواعية ، وهل يمكن أن يسرق الانسان الواعي أو يجرم ؟ هكذا يحتاج المذنب الى رعاية وتهذيب وتربية . لقد كانت تربيته ناقصة . . . تربيته المنزلية . . . تربيته الاجتماعية . . . تربيته النفسية . لذلك يجب أن تهتم

العدالة بتقويم هؤلاء واعادتهم الى ماكانوا عليه ، كما يجب أن تخلق منهم أناساً يسرون على طريق الفضيلة والخير .

ألم توجد العدالة الا لعقاب المذنب ؟ ألم توجد القوانين الا لتزج بهؤلاء في السجون ؟ ألم توجد العدالة الا لاستعمال العنف ؟ ألم يذنب غير هؤلاء ؟ ألا يوجد مجرمون في المجتمع ؟ ألا تستطيع العدالة أن تخلق من المذنب انسانا صالحا ؟ اذن كيف هي تسمى عدالة ؟ وبماذا تنظر في أمور ؟ هل تنظر في مشاكل الناس التي لا تنتهي ؟ ألا تعمل الا في استنباط القوانين والمبررات لحل مشاكل تعمقت جذورها في التناقضات التي لا تنتهي ؟ وهل هذه هي القوانين ؟ وهل استطاعت هذه المؤسسة التي تسمى بالعدالة أن تنهي أو تضيع حداً لمشاكل الناس ؟ ان مشاكلهم تزداد . . والعادلة تتضاءل لأنها تعتمد على التناقض وعلى كثرة الوسائل . . ان العدالة تقيم عدالتها على عملية سن القوانين والشرائع من المشاكل التي تبدو أمامها . . . مشاكل قامت بسبب الميول اللاواعية والتناقضات العديدة في الذات . . . هي قوانين المشاكل وليست شرائع انسانية وأبدية تعتمد على قاعدة واحدة وهدف واحد وفكرة واحدة وجوهر واحد .

وماذا تفعل هذه العدالة التي بنت صرحها وشادته على تناقضات المشاكل وكثرتها ؟ انها ترسل المذنب الى السجن أو الى اصلاحية . انها تضع الغرامة على السارق أو تحجز على حريته . انها تفعل شتى الأساليب لكي تضع حداً للجرام والسرقات . . هذه هي الصفات التي يجب أن تلتصق بالعدالة . . . لأن لاعدالة لولاها . . . لاعدالة لولا السرقات والاجرام . . . الا يثير الضحك ؟

ألا يؤلمني أن أرى العدالة قائمة بسبب الشذوذ البشري ؟

الا يؤلمني أن تكون العدالة قائمة في الشنوذ البشري ؟ ألا
يضحكني أن يكون المذنب مذنباً في نظر العدالة التي سنت
قوانينها بسبب مذنب ؟ ان هذا كله مؤلم حقاً ! تسعى العدالة
لكي تعاقب المذنب بينما تترك المجرم الحقيقي ...

.....

ومن هو هذا المجرم الحقيقي ؟
هو المحتكر عندما ترتفع الاسعار أو عندما تشتد الأزمات ؛
مجرم لأنه خلا من الوجدان •
هو الكاذب الذي يجعل من كذبه سبباً للجرام •
هو المرائي الذي يبدو لك بألف وجه ... انه مجرم
فظيح ... الكاذب والمرائي مجرمان مات ضميرهما •
هو القاتل الحقيقي .. المسبب للازمات والقائد الى
الحروب .. انه مجرم لانه ليس انسانياً •
هو المسبب للويلات التي تصيب المجتمع والمشاحنات التي
تقوم بين الفئات الاجتماعية •
هو مسبب البغضاء والكراهية وزارع حب الانتقام في
نفوس الابرياء •
هو الذي يشنت عائلة مسكينة لكي يستفيد من بضع
درهمات •

هو الذي يبيع ضميره لكي يكسب ويربح •
هو المتعصب لفكرته فيجمع حوله أنصاراً ويعلمهم التعصب •
هو خالق الثورات العنيفة التي تزهق الارواح •
هو من نسميه بطلا وليس هو ببطل •
هو الجبان الذي يتخلى عن مسؤوليته فيؤدي الى الشر •
هو الذي يتأخر عن واجبه فيشل الحركة •

- هو الذي يقتل روح غيره دون أن يؤذي جسده
- هو الذي يقود غيره الى الرذائل والشهوات
- هو الذي يتاجر بكل أنواع التخدير المعنوي والمادي
- هو الذي ينشئ الفضيلة وهو كاذب منحط
- هذا الذي يتاجر بشرفه ليكسب ويربح
- هو المتعصب لرأيه حتى الجنون ، لأنه عدو لغيره
- هو الهازيء بغيره .. الهازيء الذي يقتل معنويات غيره
- ويخلق فيه عقدة لاتستأصل
- هو الذي يدمر حياة انسان في جهله ولاوعيه
- هو كل من يتخذ من عمله وسيلة للكسب فقط
- هو الذي يقيم الولاثم المكلفة التي تكفي لاشباع مئات
- من الجائعين
- هو كل حاكم لا يعمل لأجل رعيته ولا يضحى لأجلها ...
- لقد خان ضميره وتهرب من المسؤولية الملقاة على عاتقه
- هو الذي ينهب اموال الارامل واليتامى

.....

هل يعاقب القانون هؤلاء ؟ هؤلاء المستترون برداء الفضيلة والخير ! هل وجد قانون لهم ؟ وكيف يصل القانون اليهم طالما أنهم صانعوه ، ويعتبرون مثالا للعدالة وقدوة صالحة ! هؤلاء المتلبسون بالجريمة والسرقات ... الذين يعذبون غيرهم وهم يبتسمون ، ويهزأون بغيرهم وهم يعانون النقص في ذواتهم ... الذين يتركون المجتمع بدون عدالة ويتشدقون بالعدالة ... هؤلاء جميعهم مجرمون وسارقون ... هؤلاء الذين يتركون السارقين يمرحون فتمتلىء جيوبهم « بوخزات الضمير »

المساكين ويلتفت الى المجرمين الحقيقيين فيضع حداً لمؤامراتهم
وأعمالهم النجسة ؟

هكذا تبدو المسألة . . . الاجرام والسرقة . . . تنفيذ
العقاب بأناس بسطاء . . . ألا يفكرون مع ضمير العالم عندما
يقول « من كان منكم بلا خطيئة فليرجم الزانية بحجر » ؟

الرسالة الرابعة عشرة

حدثتك في رسالتي السابقتين عن الصراع الذي ينشأ في المجتمع ويحركه . ولقد ارجعت أسباب هذا الصراع الى المفاهيم الاجتماعية السائدة التي تتبلور في العقائدية والتي تؤدي الى العنف .

انا لا أعلم ان كنت قد برهنت على ما أقول . واذ لا أريد أن أتمسك بأرائي وأبررها وأحسبها كاملة، لذلك أترك لك حرية الاختيار . ومن جهتي ، أعتقد أن القناعة الوجدانية أسهل طريق للاعتقاد ولا أعتبر الجدل وسيلة للاقناع .

.....

ان حضارة المظاهر السخيفة هي التي تتحكم في كل مجتمع تسوده روح المنافسة وحرية العمل . وأنا لا أقصد من هذا أن نظاماً ما يعتبر أفضل من نظام آخر ، اذ أن كل الانظمة سواء . هي أنظمة لانفقه معنى لوجود الانسان لانها لم تبين عليه ولم تعبر عن حقيقته وجوهره . ولذلك لا يوجد فرق بين الانظمة الا في الدرجة . وكل ادعاء من نظام وتطرف وانتهاك حرمة نظام آخر وتظاهر القائمين عليه بانهم يتبعون طريقاً سوياً ليس الا مناورة سياسية تقوم بها الفئة الحاكمة . ولعمري ، لم أشهد كاذباً تبرأ من كذبه أو ادعى أنه كاذب . والكل يدعي الصدق الكل يعتبر نفسه نزيهاً الكل يرى أخطاء غيره ولا يرى غير حسناته . الكل يسير على الطريق الصحيح والآخرون ضاعوا في ظلام أفكارهم كيف يمكنني أن أجد ضالتي في الانظمة ؟ كلها من عمل الانسان وخلقته وكلها أدت الى شقائه .

اني أعود الى أصل المجتمعات لأرى كيف شكلت مفاهيمها .
لقد قامت هذه المجتمعات على صفات معينة ومفاهيم خاصة
وعامة . ان دور الجاه لعب دوراً كبيراً ، ولعب المال دوره
كوسيلة لتحقيق أمانى الانسان . ولعب المحتد وشرف الأصل
دورهما كدعاية لدخول الفرد الى المجتمع ، وكوسيلة للاحترام .
ولذلك نرى ان مبادئ عامة وخاصة سادت المجتمعات . وهذه
المبادئ أدت الى فقدان الفضيلة والى التخفيف من قيمة القوى
والطاقات الانسانية .

لقد حولت هذه الصفات الاجتماعية قوى الانسان عن
حقيقتها . حولتها الى مجرى جديد هو الكسب على حساب
الآخرين ، والتبجح على حساب الآخرين ، وحب العظمة على
حساب الآخرين ، والتنافر على حساب الآخرين ، والتعلق بمزايا
الحضارة المحترزة . واتجه الانسان الى هذه الصفات . . . فهو
يريد أن يكون ذاتاً اجتماعية تفتخر وتدعي تتبجح
وتتكبر وتتعالى وتتفاخر ، وتحتكر ، وتتسلط على جميع
الوسائل التي تكفل لها العزة والمجد والسؤدد .

هكذا تحولت قوى وطاقات الانسان . فعوضاً عن أن
يفتخر الانسان بعلمه ، ولا فخر في العلم ، أصبح يفتخر بماله .
وعوضاً عن أن يفتخر بأخلاقه ، ولا فخر بالاخلاق ، أخذ يفتخر
بملكيته الارضية والعقارية . وعوضاً عن أن يفتخر بأعماله
المجيدة ، ولا فخر في العمل الصالح ، أخذ يفتخر جهاراً بأعماله
وحسناته في الجمعيات والاندية . وعوضاً عن أن يفتخر بتواضعه
وبساطته وتفكيره السليم ، ولا فخر في التواضع والبساطة ،
أخذ يفتخر بكبريائه . وعوضاً عن أن يفتخر بنبله الحقيقي

وأصالته الحققة ، ولا فخر في النبيل والاخلاق أخذ يفخر
بمحتده وأجداده •

الحقيقة لاتفتخر ، والاخلاق لاتفتخر ، والعلم والمعرفة
لايفتخران ••• فكيف يفخر الانسان في الامور الواهية
والضعيفة ؟ هكذا تصبح حضارتنا حضارة البؤس •

•••••

يتعلق الانسان بمفاهيم المجتمع ويعتبرها حقائق لاتدحض.
انه اتخذها مثالا فتجسدت به وتمصته فأصبح عبداً لها •
ان النظام القائم مسؤول ، في بعض الوجوه ، عن هذه السخافة
التي تورط فيها الانسان • والنظام الاجتماعي لايقوم بدون
وجود الناس • لذلك فالمسؤولون عن هذا النظام الاجتماعي هم
الذين زادوا في سخافة المفاهيم • لذلك تقع على أعناقهم مسؤولية
كبيرة ويجب أن يدفعوا الجزاء لأنهم جربوا الناس وأوقعوهم في
التجربة • ولقد قيل في القديم « ويل لمن تأتي على يده العثرات ».

ان المحرض على القتل مسؤول كالقاتل ، والمحرض على
السرقه مسؤول كالسارق ، والمحرض على الكذب والنفاق مسؤول
كالكاذب • وفي مبدائي ، أن المحرض أكثر اجراماً من الذي
يرتكب الموبقات • ان المحرض هو صاحب الفكرة ، هو المحرك
الأول ، وأما المنفذ فهو آلة بيده • ان الفاعل مسؤول ، لكن
عمله يدل على أن تفكيره أقل صلابة وتركيزاً من المحرض •••
والا لما وقع تحت سيطرته ولما انصاع لآرائه • هكذا نرى أن
الذي يدفع الناس الى عمل شيء معين يكون مسؤولاً مثلهم كما
انه يكون مسؤولاً عن خطيئته • انه مسؤول عن ارتكابه حماقة

وخطيئة ومسؤول عن تعليم غيره وتحريضه له على ارتكاب الخطأ . ان خطيئته مزدوجة .

.....

توجد أيادي تحرك المجتمعات في الخفاء وتفرض سيطرتها عليها . وعندما يدخل الفرد الى المجتمع يجد أنه يساير مفاهيمه ولا يخرج عن خطوطه الكبرى والا فانه يعتبر شاذاً وأحمقاً . يعمل الانسان أموراً كثيرة ويبرر أعماله لأنه يرى غيره يقوم بذات العمل . فينساق في التيار . وعندما يصطدم بالآراء الاجتماعية والمفاهيم فانه يقابلها بشيء من الترحاب والقبول الضمني ، وذلك لكي لا يكون شاذاً عن مجتمعه . وعندما يتزوج الانسان يحاول أن يقوم بمراسيم معينة ولو أنه لا يقتنع بجدواها ، حتى لا يقال بأنه خرج عن المألوف . وعندما يعمل عملاً عليه ان يساير مجتمعه وتقاليده وان يقوم ببعض الترتيبات التي يعمل مثلها الآخرون . ان الفرد الاجتماعي يصنع كل هذه الأمور لكي لا يقوم ضد المجتمع وتقاليده وعاداته وقيمه .

ان النظام الاجتماعي مسؤول عن كثير من الأمور . وهذا النظام يفرض ذاته على الانسان منذ ولادته حتى يوم مماته وعندما يولد الطفل ينشأ ويتشبع بما يحيطه ويتأثر به ويتكيف به ويتعلق به أيضاً ، حتى أنه ينقاد لأساليبه . ان الانسان مقدر كبير . فهو يفعل الأشياء ارضاء لذاته وارضاء للآخرين . وهو يفعل الأشياء لأجل الآخرين ويبررها . وهو يسير وفق القواعد الاجتماعية لكي لا يخرج عنها أي لكي لا يسمى الى الذوق العام .

.....

كل نظام مسؤول عن هذا الأمر لأنه يعتمد على حرية

هكذا يصبح الانسان عبداً « للبدع » فيعمل بها ويتخذ منها اسلوباً جديداً لحياته ومعيشته . . ولا بد أن ينفر منها . . . ويعود اليها أو الى غيرها من البدع الجديدة . ومن هو المسؤول عن هذه البدع التي جذبت الانسان وأوقعته في دائرة مغلقة لا يعرف كيف يخرج منها ؟ هو صاحب الفكرة . . . هو الحر في عمله . . . هو الذي يتخذ من حرية العمل وسيلة للكسب والربح والاستفادة . . . هو الذي استطاع أن يغري الآخرين ويصور لهم الامور بشكل جميل ويشجعهم على استعمالها أو على شرائها .

علام يعتمد هذا « المبتكر » العظيم ؟ انه يعتمد على الدعاية . ولماذا يعتمد على الدعاية ؟ لأنه يريد أن يبرهن للناس ان ماصنعه أو خلقه لأجلهم خير ، وهكذا يخدر عقولهم . وماذا يفعل الناس عندئذ ؟ انهم يقعون في الشرك ! فاذا ما طلبوا الامور التي تأثروا بدعايتها وأقبلوا على شرائها فانهم يسعون لكي يحصلوا عليها . . . وهكذا تترأى لهم عكس ماهي . . . عليهم أن يدفعوا الكثير للحصول عليها . لقد اصبحت هذه الأشياء ذات قيمة كبرى لمن يطلبها ويسعى اليها . وهكذا نرى أن صاحب « الفذلكة » أو صاحب « البدعة » قد استغل الضعف الانساني . انه حور الاشياء واستمال الناس بدعايته . . فيقع الناس في أحاييل الدعاية ويتأثرون بها . . وهكذا يطلب الانسان شيئاً لا يريد . . ولا يفقهه .

لماذا اعتمد هذا « المبتكر » المصمم وصاحب « الفذلكة » أو السلطة على الدعاية ؟ انه يعرف كيف وبماذا يجيب . هو يعلم أن الناس تحركهم أهواؤهم وميولهم اللاواعية . . فعليه اذن ان يتلاعب بهذه الاهواء . . ان يقويها ويغذيها . . . ان يجذبها . . ان يوجهها كما يريد . . أن يؤثر عليها ويصور لها الاشياء كما

يرغب • وهو يعلم أنه إذا استطاع أن يظهر سلعته أو فذلكته
أو أقواله بمظهر اللائق فلا بد وان يستميل ذوات الناس •
وهكذا يتلاعب هذا المبتكر بأذواق الآخرين وميولهم • ويعلم
هذا المبتكر انه يستطيع أن « يخلق » لهم سلعا ومظاهر جديدة
وينمقها بدعايته فيهرع الناس الى « الجديد » • هو يعلم ان
الانسان العاقل قلما يتأثر بهذه البدع ، فلا يقترب منها ولا
يقبل عليها • فدعايته ليست له بل هي لهؤلاء الذين يتجاهلون
قواهم العقلية ، الذين تحركهم أهواؤهم ، الذين يخضعون
لسيطرة شهواتهم •

•••••

هناك مسألة أخرى على جانب من الأهمية • هناك
مسألة المال • ان حرية العمل لا تتحقق بدون المال طالما ان شراء
واقتنا الحاجيات لا تتمان بدونها وهكذا يوجه المال وجهة غير صحيحة
ولا أخلاقية • ان المال الموجه بهذه الحرية يدمر كثيرا من حرية
الانسان • والمال وسيلة للتبادل ووسيلة للعيش وليس هدفا
أو مثالا للانسان • فاذا وجدت السلع المختلفة ، واذا وجدت
الدعاية الكافية ، واذا وجد المال ، فان الانسان يخضع لهذه
المؤثرات ••• انه يخضع لها ويصبح عبدا • ويتعلق بها أشد
التعلق ، ولا يستطيع أن يتجاهلها ، لأنها أصبحت مفاهيم
اجتماعية فرضت ذاتها عليه •

وهكذا تكون حرية العمل دون تقيد وحرية رأس المال عاملين
محركين لميول الانسان وأهوائه • ليست الحرية ان يعمل
الانسان لتحقيق هواه • ليست الحرية ان يعمل الانسان ما يشاء ••
انها قوة الانسان في الخلق الجيد ، في التعليم الجيد ، في التوجيه
الصالح وفي التفكير الصحيح المطابق لمبادئ الطبيعة • فكيف
تعتبر حرية العمل حرية ان كانت تعمل على تقوية الشهوات
والاهواء التي تنطلق من « مبدع » لا يقيد لها ولا يعقلها ولا

يجولها ؟ والميول يجب ان تعقل ، فاذا عقلت أصبحت حرة لأنها أصبحت مفكرة • ليست حرية العمل اذن حرية لانها تعمل في لا وعي الانسان فتقوي ميوله المكبوتة •

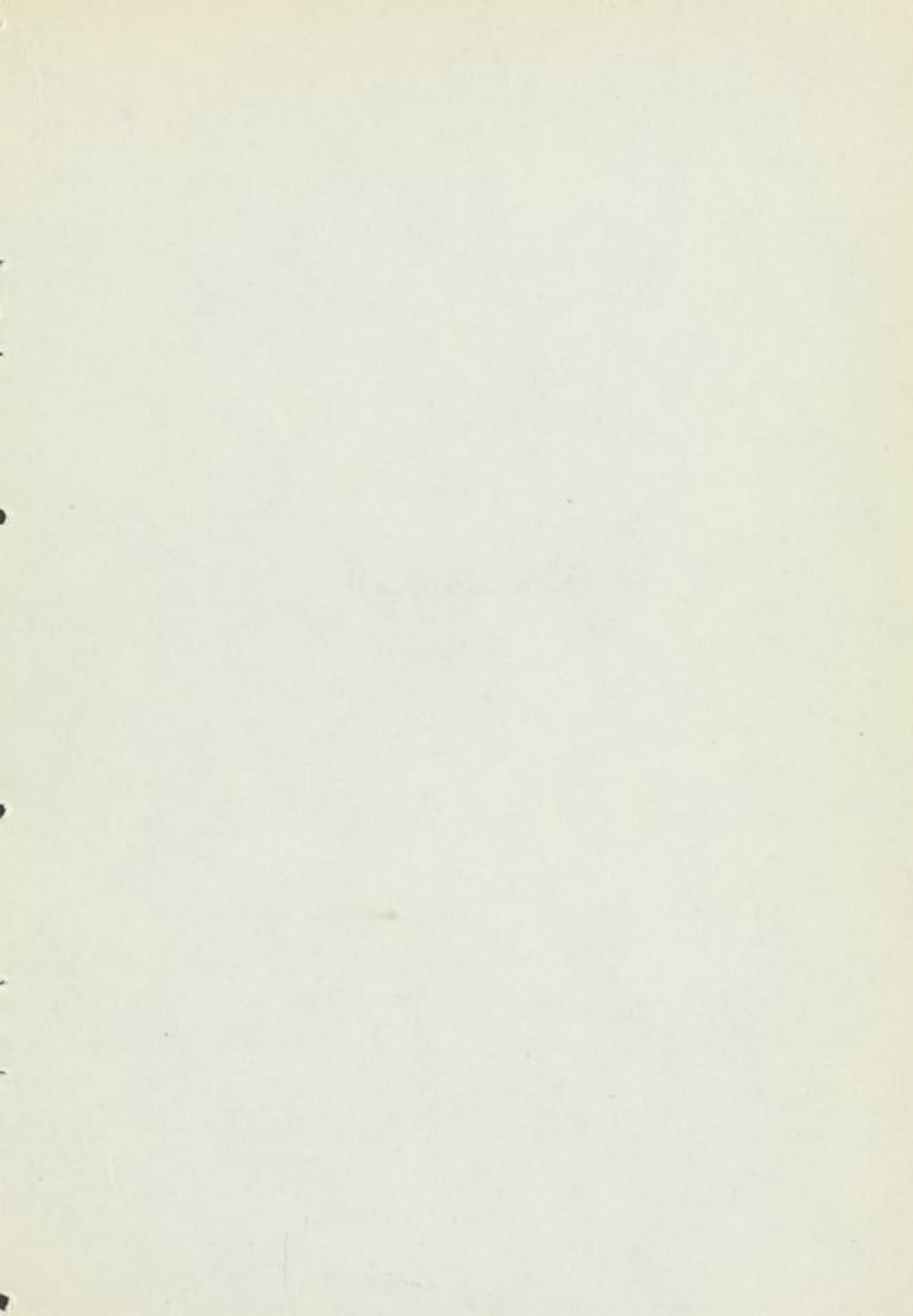
•••••
من هو المسؤول عن هذه التوجيهات التي يتأثر بها الانسان فيسلكها كطريق مهياة له ؟ هو ذاك الانسان الذي يلعب بمقدرات ومواهب غيره فيطغي عليها ويشقيها ويحولها الى أهواء مسيطرة وقوية •• هو ذاك الانسان الذي ينصاع لها ويخضع ويسير في مسالكها •• هو ذاك الانسان الذي لا يعقل ولا يفكر •

•••••
أصبحت هذه القيم مسيطرة على دماغ البشرية وعقلها • وهكذا أصبحت حضارتنا على حافة السقوط والانهار • فاذا لم يشرع الانسان أن يعيد نفسه الى ما كانت عليه في الحالة الطبيعية للوجود •• فانه سيسقط ••• وسقوطه هو سقوط الحضارة ••• وسقوط الحضارة فظيـع ومريع ••• تتلاشى القيم وتموت •• ويموت معها الانسان ••• وتمحى الحضارة •

وما أصعب أن نرى حضارة الانسان تسير الى التلاشي ! ان ما يؤلمني حقاً هو أن أرى الناس ينقادون كالعبيد لاهواء غيرهم وطرقهم الخيالية • وما يؤلمني هو ان أرى قلة من الناس يعملون أشياء صغيرة ويقدمونها للكثرة الباقية فيقنعونهم بأنها صنعت لهم ويجب عليهم أن يتصفوا بصفاتهما • أهذا ما يسمى في حضارتنا ابداعاً ؟

ان كانت حضارتنا هذه حضارة ابداع ، وان كانت تقدر تصورات الانسان المخبأة في ثنايا أهدافه وأهوائه ••• فانها حضارة بائسة لانها حضارة « البدع » •

الرسالة الخامسة عشرة



ضاع الانسان في خضم هذه المفاهيم التي خلقها . وأصبح لا يفرق صحيحها من كاذبها . لقد ضاع الانسان في خلقه هذا لأنه لا يقوم على المبادئ الطبيعية والشرائع الكونية الثابتة . لقد خرق الانسان النظام الطبيعي وأنشأ مؤسسات كثيرة من المفاهيم تصارع بعضها بعضاً ، وتقضي الواحدة منها على الأخرى وتشعل الحروب بين الدول ، وتزيد البغضاء والتناحر بين الناس . وهكذا فقد الانسان روحه وأضاعها في هذا العالم الذي يضح من غلوائه في التقييم .

يظهر هذا الصراع في كل مؤسسات حضارتنا القائمة . ويعود هذا الصراع الى تقييم الانسان للأشياء بشكل مادي . لقد علق الانسان آماله على المادة وجعلها الفكرة الوحيدة التي تسيطر على الوجود ، واعتبر ان كل شيء ينبثق عنها . وهكذا فقد الصق الانسان مفاهيمه بالمادة . وطالما ان هذه المادة اقرب الى ادراكه الحسي لذلك أعطى الأشياء قيمة متناسب وما يتصل فيه مباشرة .

فالمسألة اذن هي مسألة تقييم الانسان لأموره . لكن هذا الانسان أضاف الى تقييمه قيمة وجعل من مفاهيمه وسائل لتحقيق كل عمل ذاتي . وبما ان القيم البشرية تختلف في ما بينها لأنها نتيجة خلق سييء ، لذلك تقضي على أواصر الصداقة والمحبة بين الناس . ولا ينفك الناس يتعلقون بقيمهم حتى يجدوا أنفسهم في مأزق شديد . فهم لا يدركون ان قيمهم تتعارض

مع قيم الغير • وهكذا ينشأ صراع وتسود روح النعمة والبغض والتسلط •

•••••

لقد تحول هذا الصراع في التقييم الى مرض من أمراض حضارتنا وهو حيرة الشباب وقلقهم • لماذا يحتار الشباب ويقلقون ؟ لماذا لا يأبه للنظام ولا يتمسك بالمثل ؟

لقد خرج الشباب الى عالم تسوده الفوضى •
انهم وجدوا الصراع الاخلاقي السائد •
انهم رأوا التقييم الذي بناه الانسان على اللاشيء •
انهم وجدوا أنفسهم وسط معمعة من العنف •
انهم أصبحوا ضحايا الانهزامية والوصولية •
انهم وجدوا القوانين المتبدلة والزائفة والتي لاتنبع من حقيقة ثابتة •

انهم أحسوا بهذا الضياع في عالم ضاعت فيه القيم •
انهم أحسوا بالكره والبغض والحقد يسود المجتمعات •
لقد شعروا بمأساة حضارة الكذب وعاشوها •
لقد نشأوا على تربية مخيفة وهائلة •• تربية الماهر الذي يعرف كيف يحصل على هدفه بدون تعب •
انهم تعلموا ان لاينظروا الى الحياة بعين الحكمة والفهم •• بل أن يجعلوا منها وسيلة للكسب •
انهم وجدوا في حضارة اللاهدف •
انهم تلقنوا أساليب هذا العالم منذ الصغر ، فعلموا أن المادة كل شيء والاخلاق لاشيء • وعلموا ان من لايبقى متمسكا بامتيازات وصفات « نوعه » سوف يلاقي الفقر والحرمان •

انهم تعلموا ان يحتقروا الصفات الانسانية .
انهم نشأوا على عدم تفهم القيم الانسانية وعدم احترام
وتقدير الغير .

انهم نشأوا على الخوف من المجهول . . من الحروب
والويلات . . من السلطة من عدم رؤية الغد .
وهكذا ضاع الشباب .

.....

كيف حاول الشباب ان يجدوا منقذاً؟ وكيف حاولوا ان
يتفهموا العالم ويدركوه؟

لقد حاولوا ان يتفهموه بأحاسيسهم ووسائلهم التي
اكتسبوها بدون معرفة .

انهم غرقوا في بحر الانانية لانهم أبناء حضارة الانانية .
وغرقوا في بحر الكذب لانهم أبناء حضارة الكذب . . وانحرفوا . .
وتحولوا الى هاربين .

.....

لقد تهرب الشباب ! ومما تهرب الشباب؟ هل يتهربون
من شبح مخيف يطاردهم؟ انه شبح الخوف من الحياة ، انه
شبح الانهزامية والجهل .

لقد تهرب الشباب من المعرفة كوسيلة للحكمة والتعقل .
. . . . لذلك فقد الشباب صفة العقلانية .

انهم تهربوا من مسؤوليات الحياة وهدفها .
وأصبحوا لا يباليون ان بقي العالم أو لم يبق .
لقد أنهكتهم الحروب وأعمتهم وسائل العالم .
لقد أصبح الشباب لا مباليا . . وهذه اللامبالاة هي أشد
أمراض الحضارة . . لأنها لا هدفية .

.....

واستسلم الشباب .. للرقصات الجنونية الهوجاء لأنها
تمثل واقعهم ... لللاغاني الصاخبة لأنها تعبر عن لاوعيهم ...
للكتب الخيالية التي تعبر عن نزواتهم اللاواعية واللامبالاة
التي تحملها في ثناياها .

واستسلم الشباب « للبدع » الاجتماعية التي خلقها
وتصورها أناس يدفعهم دافع الكسب والمصلحة .. فاعتنق
الشباب مبدأ البدع وتعلقوا بأهدافها ... واكتسبوا « معالم »
هذه الحضارة .

واستسلم الشباب لاهوائهم ... فهم لامبالون لأنهم
لايبالون .. وبماذا يبالون؟ أيبالون بالعالم الذي لاحقيقة له؟ أيبالون
بالمعرفة وهي تعني لاشيء لهم ؟ بماذا يبالون اذن ؟ أيبالون
بآبائهم وأمهاتهم وأقاربهم وقد أصبحوا غرباء عنهم اذ لم يلقنوهم
الالفة اللامبالاة ؟ أيبالون بالكتب ، وهي وسيلة للمعرفة ،
وفي المجلدات التي تقرأ ولا تطبق وتحدث في شيء غير موجود ؟
أيبالون بالاخلاق ؟ وما هي هذه الاخلاق ؟ وأين يجدونها ؟
أيجدونها في معركة هذا العالم الذي فقدت فيه القيم ؟

واستسلم الشباب لحيرتهم ... حيرتهم الكثيبة والخرساء
.. الثائرة .. الناقمة ... اللاهية ... الضاحكة ...
الصاخبة ... المترفعة حيناً والمنحطة حيناً آخر ... الهادئة
حيناً والمتطرفة حيناً آخر .

واستسلم الشباب لقلقهم .. ومما يقلق الشباب ؟ أيقلقون
من الخوف الذي نتج عن هذه الامور كلها ؟ وهل هذه الامور
تدعو للقلق ؟ أيقلقون بسبب عدم ايمانهم بالغد ، وبحكامهم
وبقاداتهم ، وبرجال الفكر ؟ أيقلقون لأنهم ماعادوا يجدون
الحقيقة في صفحات الكتب ؟ أيقلقون لانهم فقدوا ثقتهم في عالم

مشحون بالبغضاء والكراهية ؟ أيقلقون لانهم لا يتأكدون من العيش ؟ أيقلقون لانهم سيذهبون للقتال ولن يعودوا ؟

واستسلم الشباب لهذا القلق المريع القاتل .. القلق من كل ما يحيط بهم .. القلق الذي يتمثل بالخوف من المستقبل .. وبالتشاؤم من الماضي ... القلق المستمر في عالم يعيش في دوامة ، في دوران مخيف تحيط به أشباح الفكر الغامضة
السوداء .

واستسلم الشباب للقلق لانهم لا يرون بصيص أمل للخلاص والنجاة في عالم ضاعوا به لان القيم قد ضاعت .

.....

ويفتش الشباب عن خلاص ... ويحاولون ان يجدوا مخلصا أو منقذا .

انهم لا يجدون ...

فيثورون ويندفعون .. ويعتقدون بأنهم قد وجدوا الخلاص .

انتهرب من الحاضر هو الخلاص .

التهرب الآني هو الخلاص .

باطفاء وساوسهم آنياً يخلصون .

بالتهرب من واقعهم يخلصون .

ويستسلم الشباب للبدع .. للشرب ...

فيعتقدون انهم ينسون ... ولا ينسون .

ويعتقدون أن شعلة الوسواس قد خبت . ولكنها

تزداد اشتعالا .

ويعتقدون أن ثورتهم قد اضمحلت .. لكنها تزداد
اشتعالا .

ويعتقدون ان ذاكرتهم قد امتلات بأمور لا بد وان تقضي
على ذكرياتها وتفكيرها وأشواقها ... لكنها تبقى فارغة من
التعقل وممتلئة بالقلق .

ويعتقدون أنهم سيحطمون كل قيمة .. فيتنكرون لها...
ولكن القيم ذاتها تبقى والصراع يبقى .

.....

ويستمر الصراع المتمثل بالحيرة والقلق . ويجد الشباب
ان أعمالهم لم تنقذهم .. فتزداد ثورتهم ويزداد إنديفاعهم ...
ويزداد تنكرهم للحقيقة ... ويزداد تعلقهم بأهوائهم .. ويزداد
تهرّبهم .. وتزداد نقيمتهم .. ويزداد ضياعهم .
ضياع الشباب وفقدانه في عالم لا قيمة فيه .
هذا هو سبب الضياع .

.....

انني أتالم لهذا الشباب الضائع الذي يقضي على مواهبه
ويتهرب من واجباته ومسؤولياته .. مسؤولية المعرفة والواجب.
وكيف يمكن لهذا الشباب أن يعود الى حظيرته ؟

.....

- بتهديم مؤسسات الحضارة الكاذبة ..
- بتبديل القيم والمفاهيم السائدة ..
- بالتعلق بالنظام الطبيعي ...
- بالتقليل من شأن الشرائع البشرية ..
- بالقضاء على العقائد الجامحة ..
- بالقضاء على مفهوم العنف ..

الرسالة السادسة عشر

صديقي ٠٠٠

هذه هي رسالتي الاخيرة ٠٠٠ وهاءنذا أحدثك ببساطة .
ولا أدري ان كنت قد قمت بواجبي في رسائلي السابقة وعبرت
عن ما يجيش في أعماقي ! فانا أريد أن أتكلم مع أنني أفضل
الصمت ٠٠٠ حاولت مرارا ان أمزق هذه الصفحات ٠٠٠ وكثيرا
ماسألت نفسي : ماذا أنجزت ؟ وماذا قلت ؟ وكيف عبرت؟ وهل
تحدثت عن الحقيقة ؟ ٠٠٠ ومن يدري ؟

غير اني شعرت بارتياح في أعماقي . ان كتابتي هذه
بسيطة جداً وقصيرة ٠٠٠ وفضلت أن أوجز في التعبير دون ان
أخلق بلبلة واضطراباً . وماذا يحقق طول الشرح ؟ ان كلمة
بسيطة صادقة يمكن ان تحمل في ثناياها عمق الحقيقة الانسانية
٠٠٠ ان كلمة واحدة يمكن ان تهز الوجدان الانساني أكثر من
كل ماجاء في الكتب .

.....

هأنذا أنتهي ٠٠٠ وماذا يمكنني أن أقول ؟ هناك أمور
كثيرة لاتزال في أعماقي ٠٠٠ وسيأتركها حتى يحين وقتها .

.....

ان موضوع الحرية يشغل بالي . لقد فتشت في الكتب
الكثيرة التي تكلمت عنها . وأعدت الاقوال التي وصفتها ٠٠٠
فوجدتني لا أفهم على حقيقة ولا أفهم لها معنى . ومع ذلك
اتضح لي أمر واحد وهو أن الحرية الاجتماعية كلمة نسبية .
فما هي الحرية في المجتمع ؟

كنت قد ذكرت لك ان المجتمع تبني ما خلقه من مفاهيم

وقيم • والحرية قيمة اجتماعية • لذلك فقد خضعت لتناقضات
القيم المختلفة • انها مزيج من الصفات الاجتماعية التي يطلقها
القائلون بها على حالات اجتماعية معينة • • ولذلك فقدت
الحرية معناها •

كان ابكتيت عبداً رومانيا لكنه كان حراً • وعندما شعر
سيده بأن من يستعبده حراً ، ترك له الحرية • • لقد أطلقه من
عقال العبودية المادية • لكن ابكتيت كان حراً ولو انه كان عبداً
• • كان حراً مثل مارك أورليوس الامبراطور ولو انه كان
امبراطوراً •

••••••••••
من يستطيع ان يقيّد حريتي ؟ ان حريتي لاتقيّد لأنها
حرية فكري • والناس لايفهمون الا الحرية الاجتماعية ، الحرية
الزائفة ، الحرية التي تتصل بالعبودية بسلسلة واحدة وبمفهوم
واحد • هل تستطيع ان تقيّد حرية فكري ؟ هل تستطيع ان
تقيدها حتى ولو قيدتني بقيود مادية ثقيلة ، حتى ولو حجزتني
في غرفة ضيقة ؟ ان فكري يبقى منطلقاً في آفاته •

ان حريتي تخترق الجدران التي تحيط بي • • انها لاتعبأ
بالاغلال • • انها فكري وروحي • • انها المعرفة • • • • • وعبوديتي
تبقى ضمن الجدران التي تحيط بي • • انها تعبأ وتخاف من
الاغلال والقيود • • انها عبودية الفكر والروح • • انها الجهل •
الحرية هي انطلاق في المعرفة وكلما عرف الانسان كلما
أصبح حراً •

الحرية هي القضاء على الجهل والانطلاق من قيوده العمياء .
الحرية هي المعرفة والعبودية هي الجهل •
أنا أخضع ان كنت جاهلاً ولا أخضع ان كنت حراً •

• أنا عبد ان كنت أجهل وحر ان كنت أعلم وأفكر •
• أنا عبد تقيده قيود الجهل ، فأخضع له لأنني لا أعلم ،
• ومتى علمت فأنني أتححر •

• اذن في المعرفة تكمن الحرية •
• لقد قيل في القديم « اعرف الحق والحق يحرك » •
• لا يمكن ان توجد حرية بدون معرفة • ولا يمكن ان أكون
• حراً ان كنت أجهل ••• فالمعرفة هي طريق الحرية •

•••••

الحرية المدنية زائفة لانها الأعيب الاطفال يلهون ويلعبون
•• والقوانين لعبة الاطفال •• انها تعطي وتؤخذ لانها نسبية ••
•• هي حرية وظلم في نفس الوقت •• هي السلطة التي تمنحها ••
فتلقب هذا المنح بالحرية ••• هي القانون الذي يمنح •• فيلقب
بالحرية •• ألا تتبدل السلطة ؟ ألا يتبدل القانون ؟ •• لكن
الحرية لا تتبدل •

•••••

اني وجدت أحراراً بين الناس البسطاء أكثر مما وجدت أحراراً بين
الذين يتكلمون عن الحرية ••• ووجدت أحراراً بين هؤلاء الناس
الذين لا نسمع بأسمائهم ولا نجلهم ونحترمهم •• لقد وجدتهم
أحراراً لانهم تحرروا من الانانية وحب الذات وقدموا أنفسهم
لخير المجتمع ••• ووجدتهم أحراراً لانهم يصدقون ولا يكذبون ••
لانهم لا يبيعون أنفسهم ولا يرضون ان يكونوا عبيداً ••• ووجدتهم
أحراراً لانهم لا يستغلون الفرص لكي يستثمروا غيرهم
ويستعبدوهم •

لا يرضى هؤلاء الاحرار ان يقتلوا ارواح غيرهم ••• أما

الذين يتشدقون بالحرية ٠٠٠ هؤلاء ٠٠٠ قتلوا كثيراً مع أنهم لم يحاكموا ٠٠٠ وأدانوا الكثيرين مع أنهم لم يقدموا أحداً الى المحاكمة ٠ ولا يرضى الطيبون الاحرار أن يهزأوا بالآخرين ولا أن يقضوا على مواهبهم ٠٠٠ لانهم ينظرون الى البعيد ٠٠ الى حيث يقيم الحق والمعرفة ٠٠ حيث لا قيود مادية او معنوية ٠

.....

في التقديم تحدث سقراط وأبان أن المعرفة هي الفضيلة ٠ فاذا كانت الحرية هي المعرفة فلا بد وأن تكون المعرفة فضيلة والفضيلة معرفة ٠٠٠ المعرفة تحررك من الجهل ٠ وقد قيل في القديم « يبقى الانسان عبداً للاشياء طالما يجهلها » ٠

المعرفة تحرر اذن هي فضيلة ٠

ان الذي يعرف يتحرر والذي يجهل يستعبد ٠ ان من يتفهم شهواته يحولها الى فضائل ٠ ولذلك كانت المعرفة سبيلاً حقاً ومستقيماً للفضيلة ، ولا يستطيع ان نفرق بينهما ٠ كلما ازددت معرفة ازددت فضيلة ٠ فعندما تعلم شيئاً عن نقائصك ، وعندما تعرف نقط ضعفك ، فانك تحولها الى فضائل ٠٠ ولا يمكن أن تتم الفضيلة بدون معرفة ٠٠ كما انه لا توجد معرفة اذا لم تكن تؤدي الى فضيلة ٠

ان الانسان طاقة ملأى بالمعرفة ومن ثم بالفضيلة ٠ وما عليه الا أن يعرف هذا ٠٠ واذا جعل من المعرفة هدفاً له ٠٠ فانه يخلق هدفاً ٠٠ فتستيقظ طاقاته ٠٠ ويكون الهدف متمثلاً بالحرية لأنه انتصر على بقايا ميوله ولاوعيه كما يكون متمثلاً بالفضيلة لأنه حول الشهوات الى مثل ٠

وهكذا ينمو الانسان نمواً متواصلاً ٠ وكلما فتح باباً من

أبواب المعرفة يقرع باباً جديداً ويدخله • ألا تلاحظ أنك تنتصر
عندما تحل مشكلة ؟ لقد كنت مقيداً بها ••• أما عندما وجدت
لها حلاً وعرفت مكانها ، أصبحت حراً من قيودها وسيطرتها
عليك •• وتشعر عندئذ بنشوة روحية رائعة ••• هذه هي
الأبواب والحلول التي يجدها الإنسان عندما يتحرر من القيود
التي كان قد ربط بها •

وكلما تفتحت طاقة في الإنسان وأدركت ذاتها ، تحولت
إلى طاقة جديدة • وهكذا يموت الإنسان القديم ويحيا الإنسان
الجديد •

ويلقى الإنسان نظرة إلى الوراثة •• وماذا يرى ؟ يرى كيف
كان مكبلاً ••• وقد أصبح حراً • فلو لم تفتح منافذ المعرفة
ولو لم يجعل من المعرفة سبيلاً وهدفاً ••• لبقى عبداً •

•••••

اني قرأت حياة الانبياء وأعمالهم فوجدتهم أناساً اتخذوا
من التأمل سبيلاً للمعرفة • لقد ابتدأ كل واحد منهم بالتأمل أي
بالتفكير ••

ان التأمل يشحذ الفكر والنفوس لأنه يطلق الوجدان ••
فيسبج هذا الوجدان في عالم الحق •• ويطلع على عالم الحق ••
فيسنتير بالذي رآه وشعر به •

والشعور الدقيق تأمل لأنه يرفع الإنسان إلى ادراك
الاشياء بواسطة النور المتدفق من الاعماق •• من الدماغ •• من
الاعصاب الحساسة •• ولقد قيل في القديم « تولد الشعور
عندما تجسدت الروح في المادة » •

بواسطة هذا الشعور السامي الذي ينقلك الى عالم تملأه
قوى الانسان وطاقاته ونوره . . قوى الكون . . وقوى الالهوية
التي تسود الكون . . يتأمل الانسان .

هذا التأمل . . استغراق الانسان في نفسه وفي أعماقه . . .
في كيانه . . هو دخول الانسان الى نفسه لكي يبحث ويعرف . .
فالتأمل معرفة وبالتالي فضيلة . . وهو البحث عن الحق .
من لا يتأمل لا يصل الى اغوار نفسه ولا يفقه من سر
الكون شيئاً .

ان جمود العقل والاحساس والشعور هو موت حياة الروح
وعيش للمادة .

ان تعلق الانسان بالأرض قتل لطاقاته العلوية .
ان الاعتماد الكامل على الدماغ لتحقيق العقل ، والعقل هو
فكر الدماغ ، طريقة لا تؤدي الى التأمل .
ان بقاءك في هذه الدنيا بدون هدف يقع الى ما وراء وجودك ،
يعيق التأمل .

ان نظرتك البسيطة للامور ورؤياها كما هي ، تقضي على
التأمل لأنه انطلاق في اللامحدود .

.....

ان التأمل هو غفلة الحس ويقظة الشعور وانطلاقه في
عالمه . . . وأنت تتأمل تشعر بنشوة روحية لامثيل لها لأنها
تنقلك الى عالم أكثر صفاء ونقاء وجمالاً ورقة من عالم الحس .
من لا يتأمل لا يدرك كنه وجوده لأنه يبقى متعلقاً بالقشور .

ومن لا يتأمل لا ينفك من قيوده التي شدته اليها مظاهر المجتمع
لا حقيقته •

ان التأمل قوة دافعة توقظ في الانسان شعوراً انه يرقى
الى الله •• ويعيش في كنفه ••• انه أصبح روحاً تحلق في عالمها.

وهل أبدع المفكرون والعلماء والفلاسفة بدون هذا التأمل؟

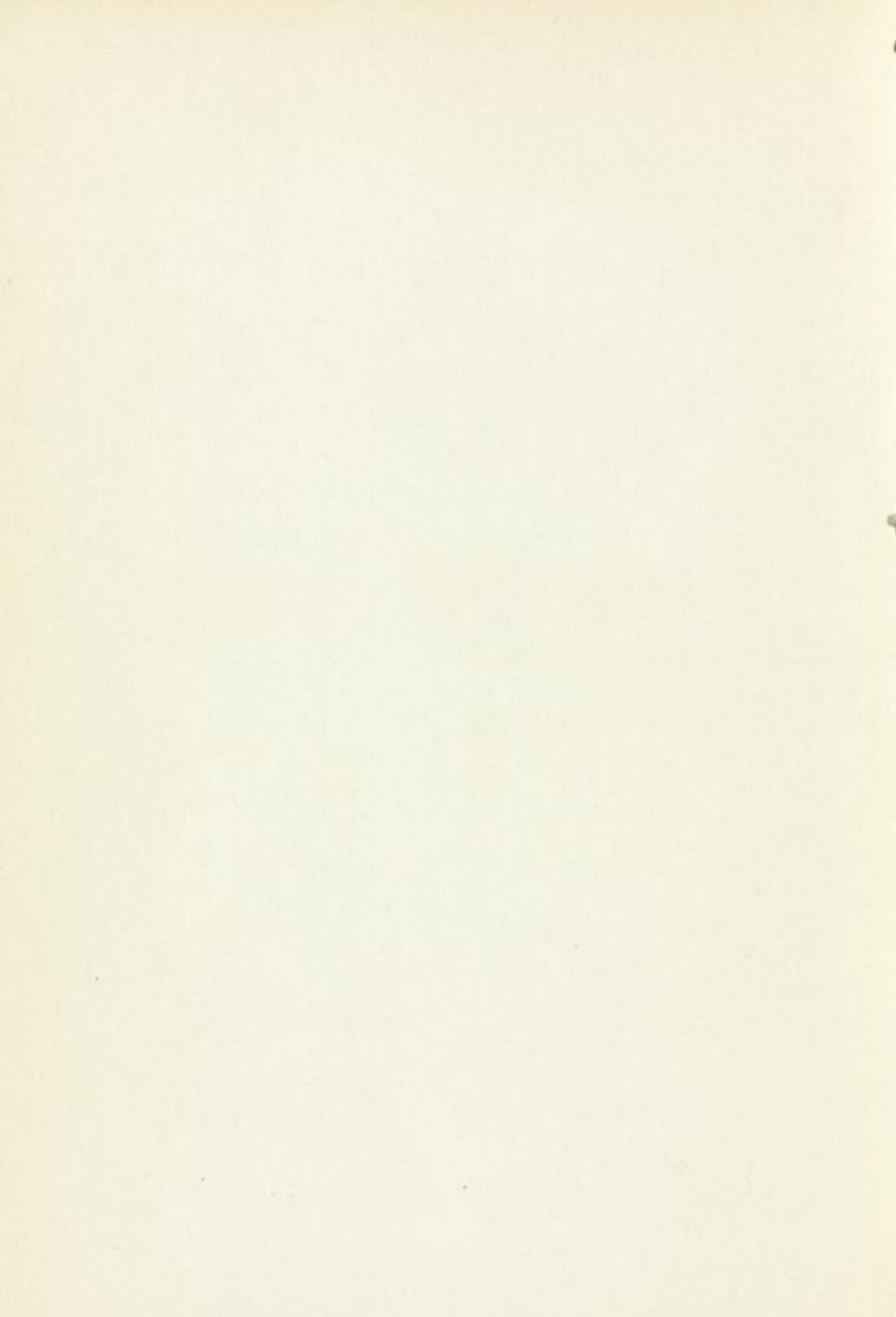
فتأمل يا صديقي

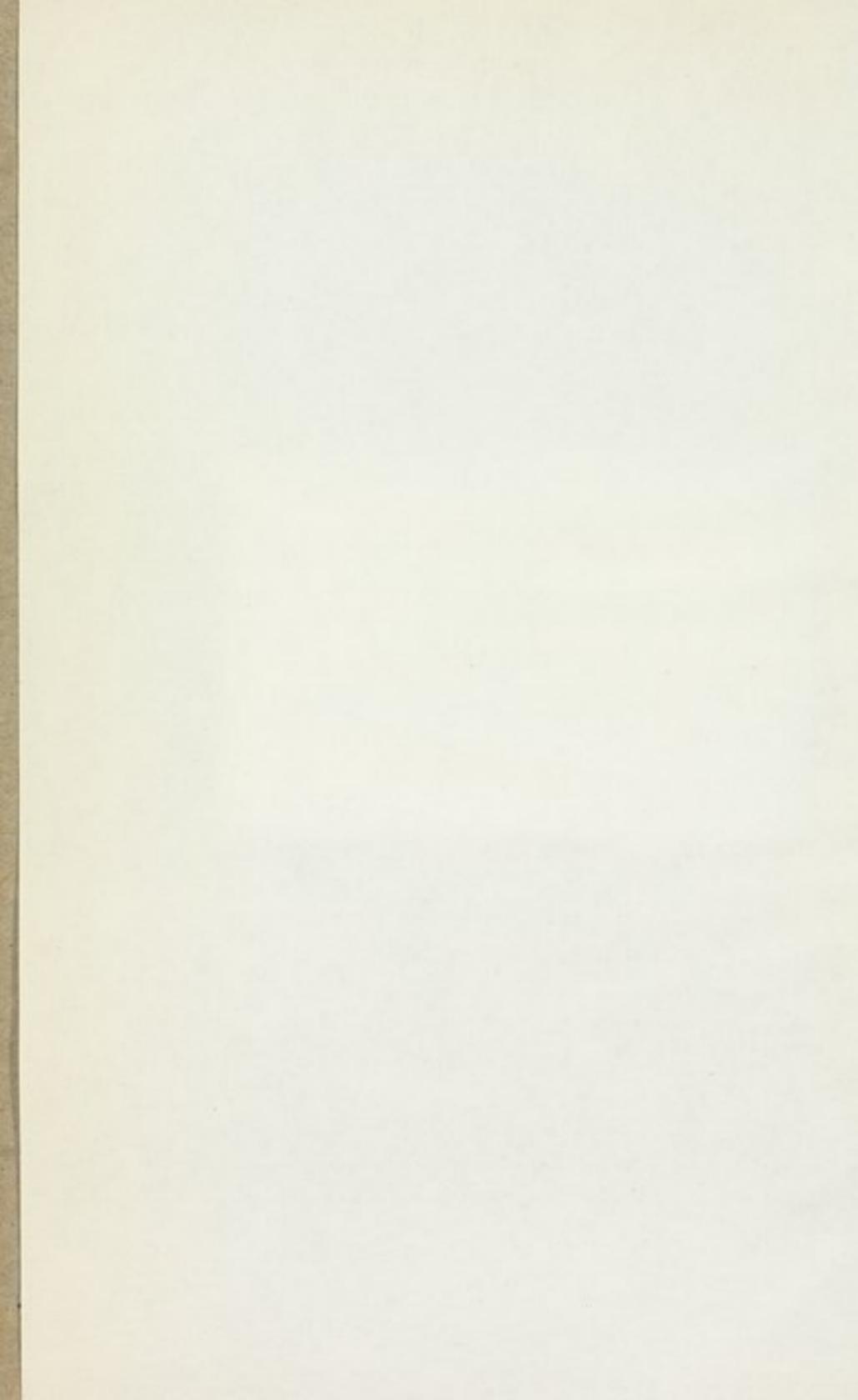
تأمل •• وتحرر •• وتعلم

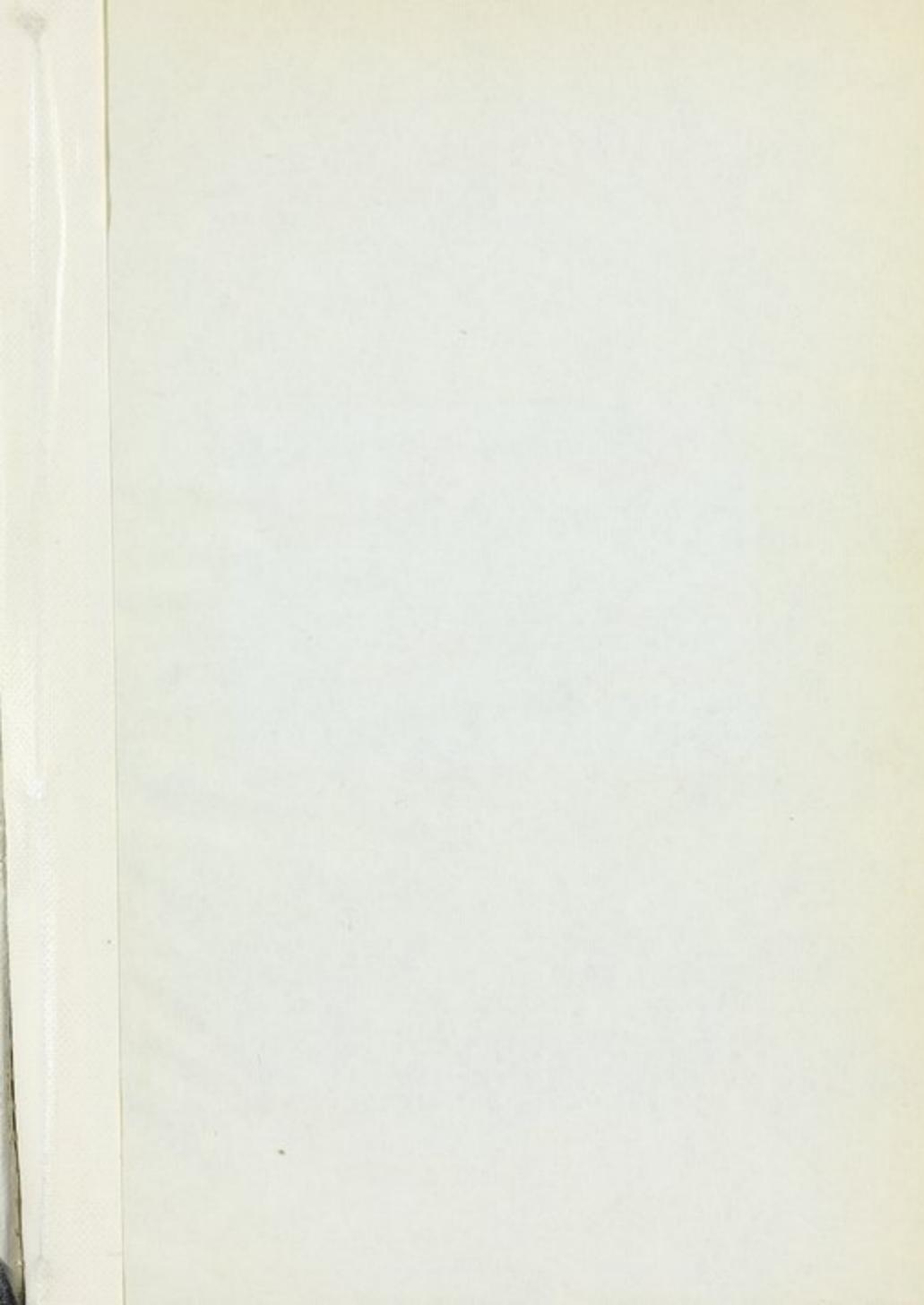
ان التأمل والمعرفة والحريّة هي عالم الحق •

كتب المؤلف -

- الحقيقة
- الاشتراكية ومفهوم العدالة
- النقد الفلسفي للماركسية







LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 071966301